الآثار الفكرية للكوارث الكونية في الغرب ونقدها
-زلزال لشبونة ١٧٥٥م نموذجا-

د. صلاح بن عبد الله العيبان
قسم الدراسات الفكرية - كلية أصول الدين والدعوة
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الآثار الفكرية للكوارث الكونية في الغرب ونقدها -زلزال لشبونة ١٧٥٥م نموذجا-

د. صلاح بن عبد الله العيبان

قسم الدراسات الفكرية - كلية أصول الدين والدعوة
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تاريخ تقديم البحث: ١٥/ ٤/ ١٤٤٥هـ تاريخ قبول البحث: ٢٢/ ٦/ ١٤٤٥ هـ

ملخص الدراسة:

يهدف بحث : "الآثار الفكرية للكوارث الكونية في الغرب ونقدها-زلزال لشبونة ١٧٥٥م نموذجا" إلى تسليط الضوء على الآثار الفكرية التي نتجت عن زلزال لشبونة العظيم ١٧٥٥م، ونقدها، حيث تولد عن هذا الحدث تساؤلات فكرية وصراعات ثقافية بين نخب المجتمع سواء تجلى ذلك في المناكفات الفكرية بين رجال الدين النصراني وفلاسفة التنوير من حيث تفسير الحدث وطبيعته أو من خلال الخلاف بين الفلاسفة أنفسهم من أصحاب الاتجاه المتفائل والاتجاه المتشائم في النظرة للعالم أو كان ذلك من خلال كيفية التعامل مع كارثية الحدث بين السلطة الدنيوية ورجال الدين.

وقد سلكت في البحث المنهج التحليلي في النظر إلى طبيعة الخلافات والصراعات الفكرية وتحليل آثارها، أو من خلال المنهج النقدي وذلك بالنظر إلى هذه التساؤلات والمناوشات الفكرية ونقد تناولها من خلال المنهج الشرعي.

وكان من نتائج هذا البحث، أن الكوارث الكبرى في المجتمعات قد تؤدي إلى إحداث تغيرات فكرية وثقافية، وإلى إثارة الشكوك حول الثوابت والمعتقدات، كما أنها قد تجعل أطراف مختلفة توظف هذا الحدث لخدمة أجندتها الفكرية وتصفية الحسابات مع الخصوم.

وقد أوصى البحث بأهمية دراسة الآثار الفكرية للكوارث في العالم الإسلامي، وتفعيل دور المؤسسات البحثية والدراسات الاستقصائية لإدراك طبيعة هذه التغيرات ومحاولة الإجابة عنها ومعالجة نتائجها السلبية.

الكلات المفتاحية: الكوارث، زلزال، لشبونة، الأفكار، الغرب، التنوير.

The Intellectual Effects of Cosmic Disasters in the West and criticize it- The 1755 Lisbon Earthquake as a Case Study-

Dr. Salah Abdullah Alaiban

Department of Intellectual Studies, Faculty of Fundamentals of Religion and Da'wah

Imam Muhammad Bin Saud Islamic University

Abstract:

The research paper, "The Intellectual Effects of Cosmic Disasters in the West and criticize it - The 1755 Lisbon Earthquake as a Case Study," aims to shed light on the intellectual effects resulting from the great Lisbon earthquake of 1755 and to critique these effects. This event gave rise to intellectual questions and cultural conflicts among the elite of society, whether manifested in intellectual disputes between Christian clergy and Enlightenment philosophers regarding the interpretation and nature of the event, or through disagreements among the philosophers themselves, concerning their optimistic and pessimistic views of the world or how to deal with the catastrophe, involving both secular authorities and religious figures. The research employed an analytical approach to examine the nature of intellectual disagreements and conflicts and analyze their impacts. It also utilized a critical approach to address these questions and intellectual disputes from a legal perspective. One of the research's findings is that major disasters in societies can lead to intellectual and cultural changes and raise doubts about established norms and beliefs. Such events may also lead various parties to employ these incidents to serve their intellectual agendas and settle scores with their adversaries. The research recommends the importance of studying the intellectual effects of disasters in the Islamic world, activating the role of research institutions and investigative studies to understand the nature of these changes, attempt to provide answers, and address their negative consequences. It also calls for critical examination of Arabic modern writings influenced by Western thought regarding earthquakes, with an attempt to impose a conflict between science and religion.

key words: Disasters, Earthquake, Lisbon, Ideas, the West, Enlightenment.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن الله خلق هذا الكون وجعل فيه سننًا ونواميسًا، وفرض أحكامًا في التعامل معها، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾(١)، ومما قدره الله تعالى للناس ابتلاء وامتحانًا وقوع الكوارث والمصائب والمحن، قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾(٢).

وإنه كثيرًا ما ينظر إلى الكوارث الكونية إلى آثارها المباشرة مثل الخسائر البشرية والمادية، وحجم الدمار، وهذه بالنسبة إلى غيرها من السهل حصرها وإدراك آثارها، لكن الإدراك الصعب هو النظرة إلى آثار الكارثة نظرة شمولية تحيل إلى محاولة اكتشاف عدد من الآثار غير المباشرة كالآثار الفكرية والثقافية، ودراسة ردات الفعل حيالها من قبل النخب المجتمعية وعامة الناس، وحجم التعاون أو الصراع، ومدى سرعة الإفاقة والوعي بعد وقوع المصيبة، ودراسة التساؤلات والإشكالات التي طرأت أو ازدهرت بعد وقوع الكارثة.

---

(١) الأعراف: ٥٤.

(٢) الإنسان: ٢.

وقد اختلفت الأمم والحضارات في موقفها من هذه الأحداث والكوارث، وطريقة تعاملها معها، وما يحتف بها من حق وباطل، ومن هذه الحضارات الحضارة الغربية، حيث شكلت الكوارث والجوائح إحدى المنعطفات التاريخية في الفكر الغربي وتمثلاته الحديثة، التي أفاض فيها مؤلفو التاريخ الأوروبي، ودرسوا آثارها.

وقد كان وقوع زلزال لشبونة العظيم في الأول من نوفمبر من عام ١٧٥٥م أثرًا ظاهرًا في التأثير على الفكر الغربي، من خلال إثارة الحوارات والجدالات والخصومات التي أعقبت هذا الزلزال العظيم، وكيفية تفسيره والتعامل معه، وإثارة الكثير من التساؤلات والإشكالات الوجودية والأخلاقية.

ونظرًا لحديث عدد من مفكري الحداثة والتنوير في العالم الغربي عن هذا الحدث وتأثيراته في الثقافة الغربية، وانعكاس كثير من هذه التساؤلات والإشكالات التي وقعت فيه على الحضارات الأخرى التي وقعت فيها هذا الكوارث من الزلازل المدمرة أو الفيضانات المغرقة (تسونامي)، ومحاولة استدعاء كثير من الباحثين هذا الحدث التاريخي وما احتف به من تغيرات ثقافية في الأحداث الحالية الواقعة في العالم الإسلامي والأمل في إحداث تغيرات في تصورات المجتمع، فقد جاء هذا البحث ليسلط الضوء على هذه الكارثة الجوهرية بعنوان:

الآثار الفكرية للكوارث الكونية في الغرب ونقدها –زلزال لشبونة ١٧٥٥م نموذجا–

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- عدم اطلاعي على وجود دراسة بحثية عربية خاصة في ذلك.

٢- كثرة وقوع الزلازل والكوارث الكونية، والتركيز فيها على الإحصائيات والأخبار والمقاطع، دون التعمق في دراسة آثارها الثقافية وتأثيراتها الفكرية.

٣- أثر هذا الحدث في التاريخ الغربي، وتصنيفه من الأحداث الفارقة في الفكر الغربي وتطوراته.

٤- امتداد آثاره الثقافية وحواراته الفكرية إلى الأحداث الكونية التي تقع في الحضارات الأخرى، ومنها الكوارث في العالم الإسلامي.

مشكلة البحث:

نظرا لما تحدثه الكوارث الكونية من آثار مدمرة وتحديات صعبة، فإن هذا البحث جاء ليحاول تسليط الضوء على هذه الآثار الثقافية في العالم الغربي من خلال زلزال لشبونة ١٧٥٥م، ويقوم بنقدها من خلال المنهج الشرعي.

أهداف البحث:

١- بيان أسباب تأثير هذا الزلزال على العالم الغربي.

٢- التعرف على الصراع بين التفسير العلمي للحدث والتفسير الديني.

٣- ذكر الخلاف الفلسفي بين أصحاب الاتجاه التفاؤلي للعالم والاتجاه التشاؤمي.

٤- بيان الصراع الذي أعقب الزلزال بين السلطة الدنيوية والسلطة الدينية.

٥- نقد آثار الزلزال الفكرية.

منهج البحث:

١- إن المنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج التحليلي، وذلك من خلال النظر في الوقائع والخلافات والتساؤلات والتصرفات التي أعقبت حدوث الزلزال وتحليلها، والمنهج النقدي من خلال النظر في هذه الآثار، وما تولد عنها من تساؤلات فكرية، ونقدها من خلال المنظور الشرعي.

٢- جمع المادة العلمية من المصادر الأصلية.

٣- كتابة البحث بأسلوب واضح، وصياغة منتظمة.

٤- ذكر الآثار بموضوعية، وعدم التعقيب عليها في المبحث بالنقد.

٥- تخصيص مبحث خاص بالنقد.

٦- كتابة الآيات بالرسم العثماني، وذكر مواضعها في حاشية البحث.

٧- تخريج الأحاديث والآثار الواردة في البحث، فإن كانت في الصحيحين أو أحدهما فأكتفي بتخريجه منهما، وإن كان في غيرهما بينت درجة الحديث من كتب الحديث المعتمدة.

٨- عدم الترجمة للأعلام الوارد في ذكرهم في صلب البحث.

٩- التعريف بالمصطلحات والكلمات الغريبة تعريفا موجزا، مع ذكر مصدر التعريف.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث فيما كُتب عن الموضوع في فهارس المكتبات العامة،

ومحركات البحث الشبكي، لم أجد دراسة علمية عربية مخصصة حول هذا الموضوع، وإنما جاءت ضمنيا في بعض الكتب.

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة.

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومشكلة البحث، وأهدافه، ومنهجه والدراسات السابقة فيه، وخطته.

التمهيد: وفيه التعريف بمصطلحات البحث (الفكر) (الكوارث) (الكونية) (الغرب).

المبحث الأول: أسباب تأثير زلزال لشبونة وتصنيفه حدثا مفصليا في الفكر الغربي.

المبحث الثاني: الصراع بين التفسير العلمي للكارثة والتفسير الديني.

المبحث الثالث: الخلاف بين أصحاب النظرة التشاؤمية للعالم والنظرة المتفائلة.

المبحث الرابع: الصراع بين السلطة الدنيوية والسلطة الدينية.

المبحث الخامس: نقد الآثار.

التمهيد

أولا: تعريف الفكر لغة واصطلاحا:

أ- تعريف الفكر لغة :

قال ابن فارس: "الْفَاءُ وَالْكَافُ وَالرَّاءُ تَرَدُّدُ الْقَلْبِ فِي الشَّيْءِ. يُقَالُ تَفَكُّرَ إِذَا رَدَّدَ قَلْبَهُ مُعْتَبِرًا"(١).

قال ابن منظور: "الفَكْرُ والفِكْرُ: إعمال الْخَاطِرِ فِي الشَّيْءِ"(٢).

ب- تعريف الفكر اصطلاحا :

عرّف الراغب الأصفهاني الفكر بأنه : "قوّة مطرقة للعلم إلى المعلوم"(٣).

"قال بعض الأدباء: الْفِكْرُ مقلوب عن الفرك لكن يستعمل الفكر في المعاني، وهو فرك الأمور وبحثها طلبا للوصول إلى حقيقتها"(٤).

كما عُرّف الفكر بأنه: "إعمال العقل في الأشياء للوصول إلى معرفتها"(٥) وبناء على ذلك فقد يطلق الفكر ويراد به حركة النفس في المعقولات، وقد يراد به المعقولات نفسها التي صدرت من هذه الحركة.(٦)

---

(١) مقاييس اللغة، (٤/٤٤٦).

(٢) لسان العرب، (٥/٦٥).

(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص ٦٤٣.

(٤) المرجع السابق.

(٥) المعجم الفلسفي، جميل صليبا (٢/ ١٥٤).

(٦) انظر: المرجع السابق، جميل صليبا (٢/ ١٥٥).

ثانيا : تعريف الكوارث لغة واصطلاحا:

أ- تعريف الكوارث لغة:

الكوارث جمع كارثة، وهي مشتقة من مادة كرث، قال ابن منظور: "كَرَثَه الأَمْرُ يَكْرِثُه ويَكْرُثُه كَرْثاً، وأَكْرَثه: سَاءَهُ واشتدَّ عَلَيْهِ، وبَلَغَ مِنْهُ المشَقَّةَ"(١)

وفي المعجم الوسيط: " الكارثة النَّازِلَة الْعَظِيمَة والشدة جمع كوارث"(٢).

ب- تعريف الكوارث اصطلاحا:

عرف مكتب الأمم المتحدة للحد من مخاطر الكوارث بأن الكارثة هي: " اضطراب خطير في سير الحياة في جماعة أو مجتمع على أي نطاق بسبب أحداث خطيرة تتفاعل مع ظروف التعرض للأخطار والضعف والقدرة، بما يؤدي إلى واحدة أو أكثر من الخسائر والآثار التالية: الخسائر والآثار البشرية والمادية والاقتصادية والبيئية"(٣).

وبعضهم قيد إطلاق الكارثة على الحدث في حال توفر عدد من الشروط:

١- تأثر البنية التحتية للمجتمع تأثرا كبيرا.

٢- أن يفوق الحدث قدرة الحكومة المحلية على معالجته واستعادة الحياة إلى طبيعتها.

٣- تعطل معظم الخدمات في البلد.(٤)

---

(١) لسان العرب (١٨٠/٢).

(٢) (٧٨٢/٢).

(٣) انظر: موقع مكتب الأمم المتحدة للحد من مخاطر الكوارث:

https://www.undrr.org/ar/terminology/alkartht

(٤) انظر: المسؤولية المدنية عن اضرار الكوارث الطبيعية، محمد الكعبي، ص٢٦.

ثالثا : تعريف الكونية لغة واصطلاحا:

أ- تعريف الكونية لغة:

الكونية مأخوذة من الكون قال ابن فارس: " الْكَافُ وَالْوَاوُ وَالنُّونُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى الْإِخْبَارِ عَنْ حُدُوثِ شَيْءٍ، إِمَّا فِي زَمَانٍ مَاضٍ أَوْ زَمَانٍ رَاهِنٍ "(١)، والكَوْن هو الحدث.(٢)

وفي المعجم الوسيط: " الْوُجُود الْمُطلق الْعَام وَاسم لما يحدث دفْعَة".(٣)

ب- تعريف الكونية اصطلاحا:

إن تعريف مصطلح الكونية في البحث لا يبعد عن المعنى اللغوي فهو يطلق على الأمر الحادث، ويستعمل الكون في الاصطلاح العلمي على ما هو موجود.

والمراد بالكوارث الكونية: هي الحوادث المفاجئة ذات الأضرار العظيمة والتي تحدث بدون فعل الإنسان المباشر، مثل الزلازل والفيضانات والبراكين والأوبئة.(٤)

ومن ذلك لا يدخل في الكوارث الكونية البحث في الكوارث البشرية الناتجة عن فعل الإنسان المباشر من الحروب واستخدام الأسلحة الفتاكة النووية والكيماوية، وانفجار المفاعلات، وجرائم الإرهاب وأعمال الشغب والثورات الدامية وغيرها.(٥)

---

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس، (١٤٨/٥).

(٢) انظر: لسان العرب (٣٦٣/١٣)، القاموس المحيط ص١٢٢٨.

(٣) (٨٠٦/٢).

(٤) المسؤولية المدنية عن اضرار الكوارث الطبيعية، محمد الكعبي، ص٢٧.

(٥) انظر: المسؤولية المدنية عن اضرار الكوارث الطبيعية، محمد الكعبي، ص٢٧-٢٨.

رابعا : تعريف الغرب لغة واصطلاحا:

أ- تعريف الغرب لغة:

الغرب لغة خلاف الشرق، وقد ذكر ابن سيده عدة معاني داخلة فيها، ومنها قولهم: غرّب القوم ، أي ذهبوا في المغرب . واغربوا ، أي أتوا الغرب.(١)

وفي المعجم الوسيط: " جِهَة غرُوب الشَّمْس والبلاد الْوَاقِعَة فِيهِ وَهِي مَا تقَابل بِلَاد الشرق"(٢).

ب- تعريف الغرب اصطلاحا:

إن المفهوم الذي نريده من مصطلح الغرب هو الذي يعنى بالجانب الثقافي الحضاري المرتبط بالتنوير والحداثة في أوروبا وأمريكا الشمالية، وبيان العناصر ذات الحضور المؤثر في البنية المعرفية له ، والقواسم الفكرية المشتركة ، ولا يهمنا استخداماته الجغرافية والسياسية ، فـ"لم تعد كلمة الغرب توحي بالجهة المقابلة للشرق، ولكنها أضحت مدلولا اصطلاحيا يعني ثقافة غربية ، بغض النظر عن الجهة"(٣)

(١) انظر: المحكم والمحيط الأعظم (٥٠٦/٥).

(٢) (٦٤٧/٢).

(٣) الشرق والغرب منطلقات العلاقات ومحدداتها لعلي النملة، ص ٢٨ .

المبحث الأول أسباب تأثير زلزال لشبونة وتصنيفه حدثا مفصليا في العالم الغربي

من خلال تتبع الكتابات التاريخية التي سلطت الضوء على هذا الزلزال، والفترة التاريخية الهامة التي وقع فيها، وما تبعه من آثار ونتائج، فإنه يمكن حصر الأسباب الجوهرية لعظيم أثر هذه الكارثة مقارنة بغيرها من الكوارث التي حدثت في أوروبا بناء على الأمور الآتية، وهي:

١- عدد القتلى الذي خلفه هذا الحدث حيث قدره عدد من المؤرخين بعشرات الآلاف، والذي يعد ضخما بناء على التعداد السكني آنذاك.

يضاف إليه حجم الدمار الذي تركه في الممتلكات والتراث، حيث لم يكن الزلزال وحده الذي أحدث هذا الدمار، بل أعقبه تسونامي وسع دائرة المتضررين به، والهاربين إلى الشواطئ نجاة بأنفسهم، ثم وقوع الحرائق الكبيرة وتزامنه مع وجود ريح شديدة ضاعفت من مساحة الحرائق وزادت من كارثيتها، خاصة أولئك الذي كانوا تحت الأنقاض، فهم وإن نجوا من الزلزال فقد هلكوا بالنار، فاجتمع على الناس موت الهدم والحرق والغرق.(١)

ولذا فقد عدته أستاذة الفلسفة الأمريكية سوزان بأن هذا الحدث في

---

(١) انظر: قصة الحضارة، ديورانت، مجموعة من المترجمين، (٨١/٤٠)، EVIL in MODERN THOUGHT,SUSAN,P 240, THE 1755 LISBON EARTHQUAKE:REVISITED, A Group of Authors,P 47 AND 148,

أوروبا كان صادما ومؤثرا أكثر من أي حدث آخر منذ سقوط روما.(١)

وهو كذلك ما حمل الفيلسوف الفرنسي فولتير (ت ١٧٧٨م) على وصف هذا الحدث الذي كان معاصرا له بأنه: "كارثة الكوارث"(٢)، وقد برر الباحث بيسترمان(ت١٩٧٦م) المتخصص بدراسات فولتير بأن "زلزال لشبونة بمثابة صاعقة ضربت العالم الغربي بأكمله، وكان له الأثر الدائم في فلسفة كل إنسان مفكر"(٣).

فزلزال لشبونة يعد أكثر كارثة زلزالية حدثت بأوروبا وانتشر صداه وأثره على بلدانها المختلفة.(٤)

وقد شبه بعضهم الزلزال بالهولوكوست(٥) من حيث أثر الحدثين الكبير في تحويل الثقافة والفلسفة الأوروبية.(٦)

---

(١) انظر: EVIL in MODERN THOUGHT,SUSAN,P 240

(٢) تاريخ الفكر الأوروبي الحديث، رونالد ستورمبرج، ترجمة الشيباني ص ١٩٦.

(٣) المرجع السابق.

(٤) انظر: What were the effects of the 1755 Lisbon earthquake on eighteenth-century religious minds?, Nichols, p 4.

(٥) الهولوكوست: هو القتل المنهجي الذي وقع عن طريق دولة ألمانيا النازية على ملايين اليهود. انظر: موقع الموسوعة البريطانية (بريتانيكا):
https://www.britannica.com/event/Holocaust

(٦) انظر: مقال: زلازل لشبونة وبازل وكانتو.. فلاسفة ورهاب سياسي ومليشيات قتل، محمد شرف، جريدة المدن، ٢٠٢٣/٢/٨م.

٢- حدوثه في تاريخ ١ نوفمبر، حيث يمثل هذا اليوم عيد جميع القديسين، والذي يعد أضخم اجتماع كاثوليكي ديني، فقد كانت الكاتدرائيات(١) والكنائس مليئة بالناس، وهو ما ضاعف حجم الكارثة وعدد قتلاها، حيث تهدمت من ٣٠ إلى ٣٥ كنيسة من أصل ٤٠، و ٦٥ ديرا من أصل ٧٥، غير القصور والمباني الملكية ومساكن الناس وغيرها، وكان عدد القتلى من الناس الذي يعدون في نظر النصارى الكاثوليك من المؤمنين، مما ولد عددا من التساؤلات والمناقشات والجدالات.

بل إن هذا الاحتفال كان له أثر كبير في توسيع دائرة الخسارة البشرية والعمرانية، حيث إن وجود التجمعات الكبرى تحت أسقف الكنائس التي تعرف بارتفاعها والتي تسبب سقوطها بارتفاع حجم الخسائر، بالإضافة إلى وجود الاحتفالات فيه والذي يصاحبها عادة كثرة الشموع، وهو ما أدى إلى وقوع الحرائق الواسعة التي فاقمت من معاناة الناس، والتي استمرت ما بين ٣ أيام إلى أكثر من أسبوع حسب تقديرات المؤرخين.(٢)

---

(١) الكاتدرائية: هي كنيسة فيها مقر مطران الأبرشية أو البابا، وعادة ما تكون ضخمة، وفي المدن. انظر: موقع الموسوعة البريطانية (بريتانيكا):
https://www.britannica.com/topic/cathedral-Christian-church

(٢) انظر: قصة الحضارة، ديورانت، مجموعة من المترجمين، (٣٨ / ١٧٠)، What were the effects of the 1755 Lisbon earthquake on

في حين أن الزلزال لم يحدث ذات الضرر في الطريق المؤدي إلى مواخير الدعارة بمثل الذي أحدثه في الكنائس، وهو الأمر الذي أثار عددا من التساؤلات، وأوقع عددا من الناس في حيرة من أمرهم.(١)

لذلك فإن هذا الحدث الكبير قد تصدر أخبار الصحف الأوروبية لعدة أشهر، ولم يكن ذلك فقط لأسبابه المأساوية، وإنما كذلك لآثاره السياسية والتجارية.(٢)

٣- أنه وقع أثناء عصر التنوير وصراعه مع أفكار القرون الوسطى في أوروبا، حيث تزامن هذا الحدث مع حضور عدد من فلاسفة الحداثة والتنوير ورموزها، وكتبوا حوله وفق وجهات نظرهم المخالفة للتقاليد السائدة، فقد كتب عنه الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو (ت ١٧٧٨م)، وأطال النقاش فيه مع فولتير، كما أشار إليه الفيلسوف الألماني كانط (ت ١٨٠٤م) وألف عنه.(٣)

فقد كان في نظر الباحثين حدثا مفصليا في التأثير على التصورات

---

eighteenth-century religious minds?, Nichols, p 5.

(١) انظر: قصة الحضارة، ديورانت، مجموعة من المترجمين، (٤٠/ ٨١).

(٢) موقع الموسوعة البريطانية (بريتانيكا):

https://www.britannica.com/event/Lisbon-earthquake-of-1755

(٣) انظر: EVIL in MODERN THOUGHT,SUSAN,P 242, THE 1755 LISBON EARTHQUAKE:REVISITED, A Group of Authors,P 8.

الثقافية والاجتماعية التي كان ذائعة ذلك الوقت، ويمثل نموذجا يبرز التغيرات التي حدثت في الفكر الغربي والاختلاف في التعاطي معه، واستدعاء عدد من المسلمات الكنسية والتحقيق معها.(١)

وقد عد بعض الباحثين كارثة زلزال لشبونة أول كارثة حديثة تعارض التعامل مع هذه الكارثة باعتبارها سببا خارقا غير طبيعي، وتتعامل معها بمسؤولية وتحاول معالجة آثارها؛ ولذلك فقد عدّ بعضهم زلزال لشبونة بأنه أحد أيام الميلاد للعصر الحديث.(٢)

كما أشار بعضهم إلى أن الاختلاف في التعاطي مع هذا الحدث يشير إلى الاختلاف الذي بدأ في أوروبا بسبب بداية التنوير، حيث كان الاهتمام الرئيس لمعظم الناس هو الدين، وبدأ يظهر على الكثير عدم الاهتمام الرئيس بالدين ولم يعد هو القضية الأساسية لهم.(٣)

ومما يدل على أثر هذا الزلزال في نفوس النخب أنه استمر عالقا في مخيلة الكثير من أهل الفن والأدب والذين رسموا عنه لوحات

---

(١) انظر: EVIL in MODERN THOUGHT,SUSAN,P 240, THE 1755 LISBON EARTHQUAKE:REVISITED, A Group of Authors,P 147, Re-evaluating the Effects of the 1755 Lisbon Earthquake, Nichols, p 977.

(٢) انظر: THE 1755 LISBON EARTHQUAKE:REVISITED, A Group of Authors,P 57.

(٣) نظر: تاريخ الفكر الأوروبي الحديث لرونالد سترومبرج، ترجمة الشيباني ص ١٧٣.

فنية تشير إلى مأساوية الحدث وفظاعته.(١)

٤- أهمية الموقع الجغرافي الذي وقع فيه الحدث حيث كان الزلزال في لشبونة التي تعد من المناطق الكبرى في أوروبا، فهي كانت تصنف الرابعة بعد لندن وباريس ونابولي، كما كانت تعد مركزا تجاريا وميناء رئيسا في أوروبا، فقد كانت مهد انطلاقة العالم الأوروبي للاستكشاف والاستعمار والتنصير، وهو ما جعل هذه الكارثة لا تنحصر في حدودها الجغرافية، بل امتد أثرها الثقافي والنقاشات إلى أوروبا، وبعض المستعمرات البرتغالية.(٢)

لذا فقد كان وقوعه فيها له ليس فقط محصورا بالأثر المادي، بل كذلك له تأثير مادي في غيره من بلدان أوروبا، حيث أشار بعض الباحثين إلى الهزة العنيفة الاقتصادية والسياسية التي أحدثها، فعلى سبيل المثال تحطمت بورصات السلع والأوراق المالية في هولندا، وكذلك وقع ذلك في هامبورغ عندما وصل خبر الكارثة.(٣)

بل إن إنجلترا البروتستانيةكانت حينذاك حليفا اقتصاديا

---

(١) انظر: موقع الموسوعة البريطانية (بريتانيكا):
https://www.britannica.com/event/Lisbon-earthquake-of-1755

(٢) انظر: THE 1755 LISBON EARTHQUAKE:REVISITED, A Group of Authors,P 497.

(٣) انظر: Re-evaluating the Effects of the 1755 Lisbon Earthquake, Nichols, p 974.

للبرتغال الكاثوليكية، وقامت بحملة دعم لها، مع وجود الخلاف الديني الظاهر بينهما، وهو ما يشي بتطور العلاقات بينهما، وتغليب الطابع الدنيوي على الديني.(1)

يضاف إلى ذلك أن الزلزال والدمار الذي أحدثه قد امتد إلى ديار المسلمين في بلاد المغرب، مما يمكن للباحثين مقارنة ردات الفعل تجاه هذه الواقعة بين الحضارتين.

يقول المؤرخ محمد الطيب القادري (ت ١٧٧٣م): "في ضحوة يوم السبت سادس وعشرين من المحرم وقعت زلزلة ارتجت لها الأرض ارتجاجا، فاهتزت أولا ثم مالت مشرقا ومغربا وبقيت تضطرب...وسمعنا من يقول اضطرب الماء في الصهاريج حتى فاض على البيوت، وتغيرت العيون، ووقف الماء في الأودية عن الجري، وسقط بعض الدور...وفزع الناس الفزع الشديد وفروا من الحوانيت وتركوا أمتعتهم بها وهي من غير غلق، وعطلت المكاتب والأطرزة والأسواق"(٢).

---

(1) انظر: What were the effects of the 1755 Lisbon earthquake on eighteenth-century religious minds?, Nichols, p 2.

(٢) نشر المثاني، القادري (١١٣/٤).

المبحث الثاني الصراع بين التفسير العلمي للكارثة والتفسير الديني

إن من أهم الآثار التي أعقبت وقوع زلزال لشبونة تفسير هذا الحدث وأسباب وقوعه، حيث تمثل الصراع والخلاف بين رجال الدين النصراني ومفكري التنوير حول طبيعة هذه الكارثة والتفسير لها بين من يبسط الحديث عن علاقة الزلزال بالإله وخلقه وصفاته، ومن يحاول أن يجد له تفسيرا علميا طبيعيا.

وستكون فكرة الصراع بين الدين والعلم الطبيعي من أهم القضايا المركزية في الفكر الغربي الحديث، حيث كان حضور التفسير الديني له الغلبة عند وقوع زلزال لشبونة والحضور الأكبر بين العامة، غير أن التفسير العلمي بعد المواجهات الفكرية والنقاشات الجريئة غير المعهودة أصبح يمثل حالة فريدة وبداية جديدة أخذ يتسع مداه حتى وصل ذروته في القرن الماضي.

وقد استغل كل طرف من الأطراف المتنافسة التسويق لرؤيته حول هذه الحادثة، ومحاولة احتكار تفسيره، وإقناع أكبر عدد من الناس، كل من خلال وسيلته التي يجيدها.

فقد كان التفسير الديني الكنسي للكوارث الكونية يدور حول عدة معاني، وهي:

١- أن سبب حدوث الكارثة من عند الله فهو الموجد لها.

٢- أن حدوث الكارثة له حكمة داخلة في العناية الإلهية.

٣- أن وقوع هذه الكوارث هي أمارة عقوبة وتحذير للخارجين عن أوامر الرب.(١)

وقد انطلقت بعد هذا الدمار الكبير خطب رجال الدين النصراني وكتاباتهم خاصة في البرتغال واسبانيا بتأويل ذلك بأنه فعل خارق من الإله، وأن ما حدث لم يكن إلا عقابا إلهيا، حيث إن هذه الكارثة نذير لأهل لشبونة وتحذير لهم، حيث كانت الذنوب والمعاصي هي السبب فيما حل بهم من بلاء، وكان هذا هو التفسير الرائج آنذاك في أوساط عامة الناس؛ بسبب الإرث التاريخي الديني لهذا الأمر، وكذلك حضور رجال الدين في المنابر العامة.

وبدأ الرهبان والكهنة بعد حصول الزلزال مباشرة يجوبون المدينة المدمرة، ويحثون الناس على أن يعترفوا بخطاياهم من أجل تهدئة غضب الرب.(٢)

غير أن هذا الأمر الدارج بين عامة الناس لم يُترك دون تعكير صفوه، حيث أسهم بعض المفكرين التنويرين في إثارة بعض الأسئلة والإشكالات حول وقوع هذا الزلزال، ومحاولة التركيز في تناوله باعتباره ظاهرة طبيعية مستبعدين التفسير الديني في وقوعه، وهو ما لم يكن معهودا من قبل؛ إذ قد وقع قبله زلزال مالقا عام ١٦٨٠م، وكانت الرؤية السائدة والوحيدة تقريبا هي الرؤية الدينية، ولم يكن حاضرا الخلاف الديني والفلسفي آنذاك، ولذلك فإن ما وقع في زلزال

---

(١) انظر: Re-evaluating the Effects of the 1755 Lisbon Earthquake, Nichols, p 972.

(٢) انظر: The Lisbon earthquake of 1755: the catastrophe and its European repercussions, Helena Murteira,p5.

لشبونة من اقتصار تفسيره على الجانب العلمي يمثل صدمة لرجال الدين، وحدثا غير معهود لديهم، وتحديا لسلطتهم الروحية على نفوس المؤمنين بتعاليمهم.(١)

ولذلك فلم يكتف بعض رجال الدين بوعظ الناس وتعليمهم تأويل هذه الكارثة تأويلا دينيا كما كان سائدا، بل إنه نظير خروج أصوات معارضة وتفسيرات مختلفة أدى بهم إلى أن يقاوموا ويقوموا بمحاولة الرد ودحض رأي المفكرين الذين يرونه حدثا طبيعيا، وأنه لا علاقة سببية بين وقوع الزلازل واقتراف المعاصي، ومن تلك الردود ما قام به الأسقف ميغيل (ت١٧٥٧م).(٢)

حيث بيّن بأن ما وقع لم يكن صدفة أو لأسباب طبيعية، بل ما حدث كان بسبب الخطايا، وهو ما حملهم على تسليط الضوء على المعاصي التي كانت واقعة في لشبونة بحثا فيها عن السبب الحقيقي للزلزال، فمنهم من جعل وجود الجشع وانتشاره سببا في حدوث هذه الكارثة، ومنهم من علل ذلك بانتشار الفجور والفسق والعصيان والذي كان سببا كافيا لوقوع الدمار.(٣)

ولم يكتف رجال الدين بتعليل وقوع الزلزال وأسبابه، بل حاولوا تنبيه الناس لاتخاذ العظة منه حتى لا يتكرر؛ إذ عليهم أن يكفوا عن الخطايا ويعودوا

---

(١) انظر : THE 1755 LISBON EARTHQUAKE:REVISITED, A Group of Authors,P 8.

(٢) انظر : إعادة النظر: ص ٨.

(٣) انظر: Re-evaluating the Effects of the 1755 Lisbon Earthquake, Nichols, p 994.

إلى ربهم ويتوبوا، ومن الرهبان كما جرت العادة في الأحداث الضخمة من أشار إلى أن زلزال لشبونة هو أمارة للناس قبل نهاية العالم، وأنه تذكير لهم بالاستعداد له قبل وقوعه.(١)

وألقى جون ويزلي (ت١٧٩١م) موعظة عن أسباب الزلازل وعلاجها قال فيها: "إن الخطيئة هي السبب المعنوي للزلازل مهما كان سببها الطبيعي ... إن الزلازل هي نتيجة اللعنة التي صبتها على الأرض خطيئة آدم وحواء الأولى"(٢).

إن هذا الصراع بين التفسير الديني والعلمي لا يلغي وجود بعض المحاولات الجادة من رجال الدين في التوفيق بين النظرتين، وأن كون الكارثة حدثا طبيعيا لا ينفي بأنها جاءت باعتباره عقابا إلهيا أو تحذيرا أو تذكيرا وعبرة للعصاة من الناس، غير أن هذه الأصوات سيغيب أثرها في ظل حالة الصراع والتنافس التي ظهرت بين رجال الدين والمفكرين التنويرين في احتكار التفسير، حيث صارت معركة الخلاف بينهم معركة صفرية كل طرف يخشى التنازل للطرف الآخر أو تفهم وجهة نظره.(٣)

---

(١) انظر: EVIL in MODERN THOUGHT,SUSAN,P 243 and 248.

(٢) قصة الحضارة، ديورانت، مجموعة من المترجمين، (٣٨ / ١٧١).

(٣) انظر : THE 1755 LISBON EARTHQUAKE:REVISITED, A Group of Authors,P 8.

ومما يدل على حالة التعصب والحمية التي حدثت وتوسعت بين رجال الدين والمفكرين وعلماء الطبيعة أن الراهب ألفاردو (ت١٨١٤م) كان يقول: " نفضل بأن نخطئ مع القديس باسيل والقديس أوغسطين على أن نصيب مع ديكارت ونيوتن"(١)؛ إذ لم يعد الخلاف خلافا علميا مبنيا على حجج وبراهين بل صار تعصبا وصراعا وتحيزا.

ومما أسهم في اتساع دائرة الخلاف بينهم أن كل طرف منهم يتصور بأن إثبات ما عند الآخر من حق وتفسير منطقي هو نفي لما عنده وإبطال له، فقد كان لدى بعض المفكرين تصور بأن نقد مفهوم العناية الإلهية والتدبير الرباني ودحضه أمر مهم في سبيل فتح الطريق للتعامل مع الكوارث والأزمات والمخاطر تعاملا دنيويا، وإدارتها وفق خطط مرسومة؛ حيث إن الأحداث الطبيعية يمكن معرفة أسبابها الطبيعية وتفاديها مستقبلا، وأن وجود فكرة الفعل الإلهي مانع من صرف أذهان الناس من البحث حولهم في العلل الطبيعية.(٢)

إن نشوء بعض الأسئلة الشكية حول المعاني الدينية التي كانت حاضرة، وإثارة بعض التفسيرات البديلة، سيؤدي فيما بعد إلى انتشار هذه الأسئلة واتساع مداها، ووضع الافتراضات عليها، ومن ثم يُبنى على هذه الإجابات المقترحة، والتي تفرع عنها أسئلة جديدة، وهكذا بدأ الاتساع بين الرؤيتين الدينية والفلسفية يتعاظم، حتى صار أمرًا ظاهرًا.

---

(١) المرجع السابق ص ١٣.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ٥٨-٥٩.

ومن الأمثلة التي تبين إسهام بعض الفلاسفة في إثارة الأسئلة التي كان محرما تداولها سابقا، ما قام به المفكر والأديب الألماني غوته (ت١٨٣٢م) من كتابة أثر هذا الحدث الكبير على نفسه في صغره عندما كان صبيا، وكيف أنه شككه بما كان يؤمن به بما يتعلق بالرحمة والعناية الإلهية، وأنه كيف يستقيم ذلك في ظل هلاك الصالح والمذنب جميعا والمساواة بينهم، وهو كذلك ما أثاره الفيلسوف الفرنسي فولتير في قصيدته المشهورة عن زلزال لشبونة، وأنه كيف يمكن أن نجمع بين ما تصوره الكنيسة من الرب الرحيم وما وقع في هذا الزلزال العظيم.

ويمكن ملاحظة أن غوته وفولتير وغيرهم لم يكونوا في كثير من القضايا يتبنون أفكارا صريحة ومخالفة لأفكار الكنيسة الدينية، وإنما كانوا يقومون بإثارة الأسئلة والشكوك عن بعض المسلمات الكنسية.(١)

ومثل هذه الأسئلة الوجودية الشكوكية حول زلزال لشبونة عدّه بعض المفكرين نقطة البداية لانفصال الشرور الأخلاقية عن الشرور الطبيعية، وأنه لا علاقة لأحدهما بالآخر، حيث مثلت نظرية الانفصال ركيزة أساسية من ركائز فكر الحداثة، والذي سيصبح فيما بعد من القضايا البديهية في الفكر الغربي.(٢)

---

(١) انظر: Re-evaluating the Effects of the 1755 Lisbon Earthquake Nichols, p 977-979.

(٢) انظر: مقال: زلزال تركيا.. الشر الإنساني وحقوق الطبيعة، السيد ولد أباه، جريدة الخليج الجديد، ٢٠/ ٢/٢٠٢٣م، Re-evaluating the Effects of the 1755 Lisbon Earthquake Nichols, p 976.

هذه المحاولات المتناثرة لفلاسفة التنوير حول إيجاد تفسيرات طبيعية لكارثة لشبونة، واستبعاد التفسير الديني أو إنكاره، كانت طموحا منهم في رفع الغموض عن الوقائع الكونية، ودراستها في إطار حدوثها وفق نظام طبيعي منتظم، والذي من خلاله يمكن للعقل البشري اكتشاف أسبابه وتفسير وقوعه ماديا، وهذا نتيجة للاكتشافات العلمية والنظريات التي ظهرت قبل ذلك في تفسير الظواهر الطبيعية العادية، مما شجعت هؤلاء الفلاسفة للنظر للكوارث والأحداث المفجعة نظرة طبيعية متجاوزة التفسيرات التقليدية السائدة.(١)

لذلك فقد كان تفسير هذه المصائب الكونية بتفسيرات دينية غامضة مستفزا لرموز التنوير ومخالفًا لقناعتهم التي رأت بأن ما يحدث في الطبيعة لابد أن يقتصر في تفسيره على الطبيعة ويحال إلى أسبابها، وأن الغموض والاستسلام للتفسيرات الدينية يمثل ضعفا وجهلا يسعى فلاسفة التنوير لمكافحته.(٢)

إن بوادر هذا الصراع الذي ظهر بين رجال الدين الذين كانت لهم سلطة أوسع من الفلاسفة حمل بعض الفلاسفة على الابتعاد عن هذا الصراع من خلال عدم تحدي تفسير رجال الدين ونفيه والإسقاط عليه، بل بالاكتفاء بوضع هذا الحدث العظيم في إطاره الطبيعي وأسبابه المادية دون إثارة الشكوك أو السخرية من إجابات رجال الدين.

---

(١) انظر : EVIL in MODERN THOUGHT,SUSAN,P 247.

(٢) انظر: كانديد أو التفاؤل، لفولتير، ترجمة آنا ماريا، ص ٣٣٠، EVIL in MODERN THOUGHT,SUSAN,P 248.

فعلى سبيل المثال قام الفيلسوف كانط بتغطية الزلزال تغطية علمية من خلال ثلاثة رسائل قام بتأليفها، ومداولة الرأي فيه من منطق علمي طبيعي، ولم ير أن هناك حاجة في الخوض في مسألة المشيئة الإلهية والحكمة من وقوعه؛ صارفا النظر عن الجوانب الأخلاقية والإيمانية التي يفترض أن تعقبه، وركز جهده على دراسته دراسة طبيعية مستفيدًا ومتأثرًا بمن سبقه خاصة الفيلسوف كريستيان وولف (ت١٧٥٤م).(١)

وممن أسهم في دراسة الزلزال دراسة علمية قائمة على النظر في الأسباب الطبيعية عالم الفلك والجولوجيا البريطاني جون ميشيل (ت١٧٩٣م)، وذلك من خلال القيام بتحليل التقارير المكتوبة عن زلزال لشبونة ودراستها، ومن ثم قام بنشر نتائجه عام ١٧٦٠م، وهو ما عده بعض الباحثين من الآباء المؤسسين لعلم الزلازل.(٢)

---

(١) انظر: THE 1755 LISBON EARTHQUAKE:REVISITED, A Group of Authors,P 12 and 48-49, EVIL in MODERN THOUGHT,SUSAN,P 248. EVIL in MODERN THOUGHT,SUSAN,P 244.

(٢) انظر: THE 1755 LISBON EARTHQUAKE:REVISITED, A Group of Authors,P 161.

المبحث الثالث: الخلاف بين النظرة التشاؤمية للعالم والنظرة المتفائلة

إن وجود الشرور في الحياة الدنيا وتفسير وجوده في ظل العناية الإلهية والخير الرباني كان محل اهتمام واسع من قبل فلاسفة العالم الغربي، وكان من آثار هذا التفسير الاختلاف بينهم في النظر إلى العالم نظر متفائلة أو متشائمة.

وقد كانت النظرة الفلسفية السائدة قبل وقوع زلزال لشبونة هي النظرة إلى العالم نظرة متفائلة، حيث سعى الفيلسوف الألماني لايبنتز (ت١٧١٦م) إلى التأكيد على أن العالم الذي نعيش فيه هو العالم الأفضل من بين العوالم الممكنة، وقد أثرت نظرته للعالم وتفسيره لوجود الشرور فيه على كثير من الفلاسفة بعده، والذي رأوا للعالم نظرة متفائلة.

لقد كان لايبنتز يعتقد بأن كل أمر يحدث في العالم له سبب وعلة، وأن الإله قد اختار هذا العالم من بين العوالم الممكنة؛ لأنه يمثل أفضل العوالم الممكنة وأقلها وجودا للشر، وأن وراء ذلك حكمة، وأن كل ما هو مخلوق فهو غير كامل وبناء عليه فيمكن وجود الشر فيه، وأن وجود الشر لا يتعارض مع وجود الإله الخير المطلق، وأن المتصف بالكمال المحض لابد أن ينتج عالما أقرب ما يكون إلى الكمال، فوجود هذه الشرور في العالم لا تتنافى مع أنه الأفضل؛ لأنها جزيئة والعالم خير في جملته ومجموعه، وقد أطلق على هذه الرؤية مصطلح "ثيوديسيا".(١)

---

(١) انظر: تاريخ الفكر الأوروبي الحديث لرونالد سترومبرج، ترجمة الشيباني ص ١٦٦، الثيوديسيا في فلسفة لايبنتز -دراسة تحليلة مقارنة بالفكر الإسلامي"، للدكتور عزه سيد، ص ٩٨٩.

فزلزال لشبونة كان قد وقع في القرن الذي اشتهرت فيه نظرية نيوتن الفيزيائية، واختراع لايبنتز لحساب التفاضل والتكامل الرياضي، والذي حاول من خلاله أن ينقل هذه النظرية إلى العالم الميتافيزيقيا، وهو ما أوصله إلى أن هذا العالم هو الأفضل من بين العوالم الممكنة الأخرى.(١)

غير أن وقوع زلزال لشبونة وما خلفه من آثار مدمرة وأحداث مؤلمة، حمل بعض الفلاسفة إلى التشكيك بالرؤية المتفائلة للوجود، وكانت في مقدمة هؤلاء الفيلسوف الفرنسي فولتير حيث كتب "قصيدة على كوارث لشبونة" مهاجما فيها أصحاب النظرة المتفائلة الذي زعموا بأننا نعيش في أفضل العوالم الممكنة بناء على وجود العناية الإلهية والحكمة، وأنه عالم منسجم.(٢)

وقد كان لهذه القصيدة وما تحمله من لغة متشائمة وهجوم عنيف أثره الصادم على الرموز الغربية، يقول ويل ديورانت: " وعلى الرغم من ذلك فإن القصيدة لم تذهل المتدينين فقط، بل أذهلت الفلاسفة كذلك. فإن مثل هذه النغمة الكئيبة الجوعة يبدو أنها أحرجت الفلاسفة"(٣).

وقال فولتير بأسلوب متهكم بأن على الناس أن يفرحوا بزلزال لشبونة وموت الأطفال والأمهات! عليهم أن يفرحوا بالأنقاض والحطام والدمار؛ لأن

---

(١) انظر: THE 1755 LISBON EARTHQUAKE:REVISITED, A Group of Authors,P 43.

(٢) انظر: تاريخ الفكر الأوربي الحديث لرونالد ستورمبرج، ترجمة الشيباني ص ١٧٩، THE 1755 LISBON EARTHQUAKE:REVISITED, A Group of Authors,P 8.

(٣) قصة الحضارة، (٣٨/ ١٧٣).

كل شيء على ما يرام فنحن نعيش في أفضل العوالم، عليكم أن تحمدوا الرب على هذه النعمة.(١)

ومما ذكره في قصيدته: " أيها الحكماء الحمقى الذين ينادون بأعلى صوت كل شيء حسن، تعالوا وتأملوا كل هذه الخرائب في الأطلال الرهيبة. وهذا الحطام والأشلاء ورماد الجثث في بني جنسكم، وانظروا إلى النساء والأطفال الذين حصدهم الموت بالجملة، إلى الأعضاء المتناثرة تحت الأعمدة المحطمة. لقد التهمت الأرض مائة ألف حالفهم النحس، لقد سالت دماؤهم وتمزقت أوصالهم، واندفعوا وهم أحياء تحت السقوف التي انهارت عليهم.."(٢).

ولم يكتف فولتير بنقد هذه النظرة في قصيدته، بل قام بتأليف رواية بعنوان (كانديد) والتي كان لها شهرة واسعة، حيث أعاد الهجوم على هذه النظرة المتفائلة للعالم والتي كانت تلقى انتشارا واسعا، وقد استغل فولتير زلزال لشبونة وتداعياته السيئة فحاول دحض هذه المقولة بأسلوب ساخر، وتسأل: إذا كان هذا هو الأفضل بين العوالم الممكنة كما يزعم لايبنتز، فكيف سيبدو إذن غيرها من العوالم؟.

حيث إن فكرة الرواية تقوم على الشاب كانديد بطل الرواية الذي عاش في منزل عمه الذي أسند تعليمه إلى أحد المعلمين، والذي قام بترسيخ

---

(١) انظر: قصة الحضارة ديورانت، مجموعة من المترجمين، (١٧٢/٣٨)، ومقال: زلزال لشبونة يشعل معركة فلسفية كبرى بين فولتير وروسو، لهاشم صالح، صحيفة الشرق الوسط ، بتاريخ ٢١/ ٧/ ١٤٤٤هـ.

(٢) قصة الحضارة ديورانت، مجموعة من المترجمين، (٣٨/ ١٧١ – ١٧٢).

فكرة التفاؤل فيه وتبرير كل حدث برؤية متقائلة، لكن علاقة حب الشاب كانديد مع ابنة عمه، جعلت عمه يطرده، ويجول بعدها في بلدان العالم ليكتشف الواقع أمامه، وقد قام بزيارة البرتغال ورأى فيها مأساة الزلزال والآلام الفظيعة التي خلفها، فيكتشف بعد رحلة من البؤس والألم والمعاناة بأن تعاليم معلمه كانت محض هراء وتخرص، فتنتهي الرواية بعبارة " يجب أن نزرع حديقتنا" في إشارة إلى أننا يجب أن ننظر إلى الأمر الواقع، وأن لا نغتر بأنانيتنا. (١)

وقد ساعد على انتشار هذه الرواية وما تضمنته من رؤية تشاؤمية طريقة أسلوب فولتير الساخرة، والحبكة الأدبية التي كتبت به الرواية، حيث إن ذلك سيجعل لها امتدادا واسعا بخلاف ما لو كتب ذلك في كتاب فلسفي، وكانت هذه الطريقة من الوسائل التي ساعدت على انتشار كتابات بعض فلاسفة التنوير حيث كانوا يركزون على اللغة الهجائية الساخرة.

وقد أشار فولتير بأن هذا العالم ليس مليئا بالشر فقط من الآلام والقسوة؛ بل إن الشر يضرب فيه بدون نظام أو منطق أو عقل، فزلزال لشبونة دمر تلك المدينة بلا سبب ظاهر تختص به دون غيرها، وقد عفا الزلزال عن آخرين لم يكونوا أقل شرا من أولئك، وقضى على من في المدينة دون تمييز بين صالح وطالح، حتى وصف العالم بأنه مجنون وأنه عالم لا يحتمل.(٢)

---

(١) انظر: كانديد أو التفاؤل لفولتير، ترجمة آنا ماريا، ص ٣٢٩.

(٢) انظر: تاريخ الفكر الأوربي الحديث لرونالد سترومبرج، ترجمة الشيباني ص ١٩٦، الإصلاح غير المنشود لبراد، ترجمة محمد كمال ص ٨٩ – ٩٠.

وقد كان فولتير يصف تجربته مع هذه الحياة التي علمته بأن هذا العالم خلافا لما يعتقده لايبنتز هو أسوأ ما يمكن من العوالم، ولو كان فيه ذرة من كمال لانمحى منه هذا البؤس الذي أزهق ألوفا من النفوس الضعيفة.(١)

وهذا لا يعني أن الفلاسفة المعاصرين الآخرين وقفوا مستسلمين لهجوم فولتير على نظرة لايبنتز المتفائلة والذي كان لها أثر في الفلسفة الحداثية، حيث إن جاك روسو حاول الدفاع عن رؤية العالم بتفاؤل، ورفض نقد فولتير لها حيث يرى بأن فولتير يحمل رؤية متجهمة متشائمة تجاه مستقبل الإنسان القاتم.

وكان روسو في تفسيره لهذا الحدث قريبا من التفسيرات الدينية، حيث إنه أشار بأن هذا الزلزال وإن كان يعد أمرا سيئا على من أصابهم إلى أن هذا الأمر نسبي؛ لأن هؤلاء الذين أصابهم الزلزال ربما قد منعوا من كارثة أو معاناة أعظم، وقد قام روسو بإرسال رسالة إلى فولتير بعنوان " رسالة في العناية الإلهية" وهي من خمس وعشرين صفحة يرد على ما جاء في قصيدته.(٢)

وعندما أرسل فولتير إلى جاك روسو قصيدته عن زلزال لشبونة أجاب روسو: "كنت مدهوشا لرؤية هذا الرجل المسكين الذي غمرته كما يقال النجاحات والأمجاد، وهو يعلن رغم ذلك وبمرارة موقفه ضد مآسي الحياة وإيمانه بأن كل شيء سيء على الدوام. عندها خطرت في بالي فكرة مجنونة وهي أن أعيده إلى رشده وأبرهن له أن كل شيء جيد. إن فولتير عندما يبدو أنه يؤمن

---

(١) انظر: قصة الفلسفة الحديثة لزكي نجيب محفوظ وأحمد أمين، ص ١٠٥.

(٢) انظر: Re-evaluating the Effects of the 1755 Lisbon Earthquake Nichols, p 980.

بالله لا يؤمن في الواقع إلا بالشيطان...إن عبثية هذا الاعتقاد الواضحة للعيان تثير السخط، خصوصا عندما تأتي من رجل غمرته الدنيا بالثروات من كل نوع، ويحاول من خلال السعادة أن يقطع الأمل في نفوس الناس بإعطائهم صورة بشعة وقاسية عن كل الويلات التي لم يصب بها"(١)، وقد جاء رد فولتير على جاك روسو من خلال روايته التي أشرنا لها بعنوان كانديد.

وكذلك قام كانط بالتمسك بالنظرة المتفائلة حول الحياة في الأرض، وذلك في رسائله الثلاثة التي ألفها حول زلزال لشبونة، وإن كان فيما بعد ونظرا لتأليفه لهذه الرسائل في وقت مبكر سيعلن خجله من تأليفها.(٢)

(١) الاعترافات لجان روسو، ترجمة خليل رامز، ص ٥٩٣- ٥٩٤.

(٢) انظر: قصة الحضارة ديورانت، مجموعة من المترجمين، (٤١/ ٢٠٩)، EVIL in MODERN THOUGHT,SUSAN,P 246, THE 1755 LISBON EARTHQUAKE:REVISITED, A Group of Authors,P 58.

المبحث الرابع :الصراع بين السلطة الدنيوية والسلطة الدينية

إن وقوع الأحداث الكبرى والكوارث المدمرة عادة ما يتبعه اختلال بالأمن واتهامات متبادلة، وزلزال لشبونة لم يكن استثناء من هذا الأمر، حيث ظهر على الساحة بعد وقوع الزلزال أصوات متعددة بين من يمثل السلطة الدنيوية والسلطة الدينية في البرتغال.

فقد كان من نتائج الزلزال المبادرات والإصلاحات التي قام بها السياسي ماركيز دي بومبال (ت١٧٨٢م)، والذي كان يمثل ما يعرف اليوم برئيس الوزراء المكلف من الملك في البرتغال حيث شجعه هذا الحدث الجلل على القيام بتحديث مؤسسات الدولة الإدارية والتعليمية والاقتصادية والكنسية، ولم يكن هذا الأمر ليمضي دون مقاومة من الكنيسة نتيجة للخلافات السابقة بينهما.

وقد قام بومبال بإجراء استطلاع بياني قام فيه بسؤال مختلف طبقات المجتمع عن بيانات الزلزال الذي حدث لهم وآثار ذلك مما يعد أساسا مهما لعلم الزلازل الحديث، وإدارة الكوارث، وكان من ضمن هذه الأسئلة: كم استغرق من الوقت حدوث الزلزال؟ وكم عدد الهزات التي شعر بها؟ ما هو الضرر الذي حصل؟ هل لاحظ تصرف الحيوانات بشكل غريب؟، وهنا نلحظ بأن بومبال تعامل مع الحدث تعاملا دنيويا ماديا.

وهذا التعامل المباشر مع كارثة الزلزال حملت بعض الباحثين على جعله لبنة من لبنات التأسيس فيما عرف لاحقا بإدارة المخاطر، حيث كانت هناك استجابة فعلية وسريعة للأزمة، وقد تعاملت معها الإدارة السياسية تعاملا إيجابيا، واتخذت إجراءات سريعة وتشريعات معينة في محاولة التقليل من آثار

هذا الزلزال، والاحتياط لتخفيف آثاره القادمة، ومنها على سبيل المثال بعض التشريعات والمعايير التي وضعت في إعادة الإعمار استحضارا لإمكانية وقوع الزلزال مرة أخرى.

ومن الأمثلة على ذلك أنه قام بوضع حد لارتفاع طوابق المبنى تخفيفا من حجم الكارثة، وقام بتوسيع الطرق حتى يتمكن الناس من الهروب من الزلزال دون أن تتهدم عليهم المباني كما حدث في زلزال لشبونة، وقام بتحديد أسعار بعض المؤن بألا يزيد سعرها عما كانت عليه قبل وقوع الزلزال، وقام بإلزام جميع السفن في الميناء بتفريغ شحنتها وعدم تخزينه، حتى لا يكون هناك زيادة في الحاجة وارتفاع الأسعار.(١)

وعندما سأل الملك بومبال عما يمكن صناعته تجاه هذا الحدث سارع مباشرة بأن عليهم أن يدفنوا الموتى ويطعموا الأحياء، وأن التخلص من الجثث يمثل أولية لمنع انتشار الطاعون والأوبئة، وقام بمصادرة مخزون الحبوب وتنظيمه لمنع حدوث المجاعة، كما اتخذ إجراءات صارمة تجاه منع السرقة واستغلال الاختلال، ومحاولة إشعار الناس بالاستقرار حتى إنه تمكن من ضمان استمرار إصدار الجريدة الأسبوعية دون أن يفوتها أية إصدار، فهو قد حاول بذلك أن يستبق الممارسات الدارجة تجاه الأحداث الكبيرة من انتشار الشائعات وحصول التكهنات والتخرصات الجاهلة، وقد كان في ذلك متأثرا وداعما لتفسيرات علماء الطبيعة والنظر إلى الزلزال باعتباره حدثا طبيعيا، وأنها تمثل مشكلة عملية

---

(١) انظر: THE 1755 LISBON EARTHQUAKE:REVISITED, A Group of Authors,P 153-156.

تحل بالجوانب والإجراءات العملية.(١)

وهذه الإجراءات كانت قريبة من نظرة روسو المختلفة لزلزال لشبونة حيث إنه قد فتح نافذة أخرى في الرؤية إلى الكارثة رؤية غير دينية، فقد برر بأن وقوع العدد الكبير من الضحايا كان بسبب سلوك الناس، حيث إن الطبيعة لم تجبرهم على تجمع آلاف المساكن بطوابق متعددة، ولو كانوا في منازل أصغر وانتشروا في أماكن أوسع لكان الضرر أقل، فهنا روسو يبين بأن ما زاد من معاناة هذا الحدث وألمه الطريقة التي تعامل الناس معها فيه، وأنها ساهمت في تفاقم الأمور وسوئها بناء على القرارات الأنانية الخاطئة التي قام بها أهل لشبونة، وهنا روسو يبين أن هذا الحدث كان بسبب الناس وما عملته أيديهم، ويحيل هذا السبب لأمور مادية وإدارية بعيدا عن الأسباب الدينية من المعاصي والذنوب، وأن ذلك ناتج عن مخالفة الناس لقانون الطبيعة.(٢)

ومع أن ما قام به بومبال من أعمال دونت في التاريخ البرتغالي على استثنائية هذا الدور، والجهد البارز الذي صنعه إلا أن جهوده قامت بإصلاح جزء كبير من لشبونة، وبقي جزء منها كبير ما زال يشكو الخراب من آثار

---

(١) انظر: قصة الحضارة ديورانت، مجموعة من المترجمين، (٤٠/ ٨١)، EVIL in MODERN THOUGHT,SUSAN,P 248.

(٢) انظر: THE 1755 LISBON EARTHQUAKE:REVISITED, A Group of Authors,P 159, Re-evaluating the Effects of the 1755 Lisbon Earthquake Nichols, p 979-980, Rebuilding Lisbon in the aftermath of the 1755 earthquake, p280.

الزلزال " وكان نصف لشبونة لا يزال عام ١٧٧٤م في الخرائب التي سببها زلزال ١٧٥٥م"(١)، وهو ما يبين حجم الدمار وصعوبة معالجة آثاره بالكامل.

غير أن هذه الأعمال والإصلاحات واجهت تحديات مختلفة، ومن أبرزها الاختلاف مع بعض رجال الدين وأصحاب التنبؤات، حيث قام بومبال بمكافحة الادعاءات والتنبؤات التي صدرت من عدد من المشعوذين والكهنة، وقام بملاحقتهم حيث زعموا بأن الزلزال سيعود مرة أخرى في الذكرى السنوية له، فأوقعوا الناس في خوف وفزع.(٢)

كما أن بومبال كانت بينه وبين الطائفة اليسوعية وذراعها العسكري محاكم التفتيش خلاف وصراع قبل الزلزال، وامتد أثره بشكل أكبر وأعنف لما بعده، حيث انهمك اليسوعيون في التعامل مع الكارثة تعاملا دينيا في حين أن بومبال كما سبق تعامل معه تعاملا إداريا وسياسيا وتشريعيا، وهو ما نقم عليه بعض الوعاظ اليسوعيين الذين أكدوا بأن هذا الوقت ليس مناسبا للإعمار والانهماك في الشأن المادي، حيث استمرت الهزات بعد ذلك لمدة تسعة أشهر، فالأولى أن يشتغل الناس بالتوبة والتضرع والتواضع لربهم، وهو ما أغضب بومبال الذي عده تحديا له فتعامل مع ذلك تعاملا حازما وقويا واتخذ إجراءات بالسجن والملاحقة والمطاردة لخصومه، وقام بإضعاف سلطة محاكم التفتيش التي

---

(١) قصة الحضارة ديورانت، مجموعة من المترجمين، (٤٠/ ٩٥).

(٢) انظر: THE 1755 LISBON EARTHQUAKE:REVISITED, A Group of Authors,P 154.

كانت تمثل مصدر قلق له.(١)

إن بومبال قد " عقد العزم على أن ينهي كل مشاركة لليسوعيين في الصناعة والتجارة والحكومة البرتغالية. فلما أدرك يسوعي البرتغال نيته تضافرت جهودهم للإطاحة به، وكان قائدهم مالاجريدا"(٢)، والذي سيأتي الحديث عن الصراع الذي كان بينهم.

فقد درس المركيز بومبال في إنجلترا وقضى فيها ست سنوات حيث درس في لندن الاقتصاد ونظام الحكم الإنجليزي، ومن الأمور التي لاحظها ونالت على إعجابه طاعة الكنيسة الأنجلكانية للدولة، خلافا لليسوعيين الكاثوليك الذين كانت لهم حظوة واستقلالية وقوة وأملاكا، وهو ما سعى بعد تعيينه في إضعاف سلطتهم، واتخاذ كافة السبل في ذلك.(٣)

فعلى سبيل المثال في الخصومة القائمة بينهم، قام المبشر مالاجريدا اليوسوعي (ت١٧٦١م) ببث الرعب في قلوب سامعيه حيث كرر في خطبه المتعددة بأن الزلزال سيعود من جديد في نفس التاريخ، وأن على البرتغاليين أن يسارعوا بالتوبة من خطاياهم، وألا يضيعوا أوقاتهم بأعمال البناء والإعادة التي تمثل عبثا حيث سيحل عليها الدمار مرة أخرى، وأن الأهم هو إنقاذ الأرواح

---

(١) انظر: THE 1755 LISBON EARTHQUAKE:REVISITED, A Group of Authors,P 49, EVIL in MODERN THOUGHT,SUSAN,P 248.

(٢) قصة الحضارة ديورانت، مجموعة من المترجمين، (٤٠/ ٨٣).

(٣) المرجع السابق (٤٠/ ٨٠).

من الجحيم فيمن تبقى وعاش، وليس إنقاذ الأجساد من الموت، وأن تصديق الزعم بأن الزلزال حدث طبيعي يحمل العامة على اعتبار التوبة وتجنب غضب الرب أمرا لا حاجة له، حتى زعم بأن الشيطان نفسه لم يمكنه اختراع هذه الفكرة السيئة التي ستقودنا جميعا إلى الخراب.(١)

هذه المواجهة وغيرها من المواقف الأخرى مع هذا المبشر لم تلق ترحيبا من بومبال، بل لقد كان يحاول التآمر عليه، حتى حصل له مقصوده في عام ١٧٥٨م، واتهم المبشر مالاجريدا بتهمة الهرطقة، ومحاولة اغتيال الملك، وأعدم بعدها.(٢)

وتغلب منطق بومبال على المبشر جعل بعض الباحثين يعبر عن أهمية هذا الحدث التاريخي وإشارته إلى التحول العميق في الوعي، ويقصد بذلك بداية انفصال الشرور الطبيعية عن الشرور الأخلاقية، وأن الكارثة أصبح مجالا للبحث والتنبؤ ومحاولة السيطرة وهو منطق العلوم الطبيعية، وليس مقصدها التفسير والعبرة.(٣)

وقد أكسبته أعماله وإصلاحاته بعد وقوع كارثة الزلزال ثقة الملك الذي أعجب به، وأعطاه المزيد من الصلاحيات، وهو ما استغله في تحقيق مراده، يقول ديورانت: " وكان لنجاحه في هذه الكارثة التي أضعفت معنوية الأمة الفضل في ترسيخ قدمه في الوزارة واضطلع الآن بعملين بعيدي الأثر: أولهما

---

(١) انظر: المرجع السابق (٤٠/ ٨٣).

(٢) انظر: EVIL in MODERN THOUGHT,SUSAN,P 248.

(٣) انظر: EVIL in MODERN THOUGHT,SUSAN,P 248.

تخليص الحكم من سيطرة الكنيسة، والآخر تحرير الاقتصاد من سيطرة بريطانيا. وتطلبت المهمتان رجلاً أوتي صلابة الفولاذ إلى صفات الوطنية والإباء ومضاء العزيمة التي لا تعرف شفقة أو رحمة"(١).

لقد كان دور بومبال في التعامل الإيجابي والبناء مع الزلزال أهمية في تحقيق كثير من خططه، حتى وصفه بعض الفلاسفة الذين ارتضوا سياسته الهجومية على اليسوعيين بأنه "المستبد المستنير"، حيث حد من تسلط الكنيسة، وأخضع رجال الدين للدولة بعد أن قضى وطرد اليسوعيين، كما أصدر مرسوما ملكيا بالحد من اقتناء الكنيسة للأرض، وأغلق الكثير من الأديرة، وقيد الباقي منها بإجراءات واشتراطات تقلل عدد الملتحقين فيها، وأخضع محاكم التفتيش لإشراف الحكومة، ولذلك فإن محاكم التفتيش لم تحرق إنسانا بعد إحراقها أهم خصومه مالاجريدا عام ١٧٦١م.

كما أن طرد اليسوعيين ساعده في بناء التعليم من جديد بناء كاملا، فقام بإنشاء المدارس الأولية والثانوية بصورة جديدة، وقام بتحويل الكلية اليسوعية في لشبونة إلى كلية يشرف عليها أعداؤهم العلمانيون.(٢)

وهذا الأمر والانتصار والغلبة أثار الحيرة والتساؤل لدى رجال الدين، يقول ديورانت عن أثر الزلزال: " ولكن كانت هناك بعض ملابسات وظروف محيطة حيرت رجال اللاهوت، وأقلقت بالهم. لماذا اختار هذا اللغز المحير مثل هذه المدينة الكاثوليكية، ومثل هذا الاحتفال المقدس، في مثل هذه الساعة التي

---

(١) قصة الحضارة ديورانت، مجموعة من المترجمين، (٤٠/ ٨٢).

(٢) انظر: قصة الحضارة ديورانت، مجموعة من المترجمين، (٤٠/ ٩٢)

اجتمع فيها كل المواطنين الاتقياء تقريباً لحضور القداس؟ ولماذا أبقى وسط هذا الدمار الشامل على دارسيا ستيو دي كارفالو ميللو مركيز بومبال فيما بعد- الوزير الآمر الناهي الذي كان ألد أعداء اليسوعيين في أوربا بأسرها"(١).

(١) انظر: قصة الحضارة، ديورانت، مجموعة من المترجمين، (٣٨/ ١٧٠).

المبحث الخامس: نقد الآثار

إنه من خلال النظر في الآثار الفكرية التي أعقبت زلزال لشبونة، والصراعات التي كانت تدور بين عدة أطراف، فإنه يمكن نقد هذه الآثار بناء على عدد من النقاط، وهي:

أولا: يتضح من الصراع الذي دار بين أنصار الرؤية الدينية والرؤية العلمية في تفسير ظاهرة الزلزال أنه داخل في الفكرة المركزية التي كانت حاضرة في فكر الحداثة الغربي وهي فكرة: "التناقض بين العلم والدين".

وهنا يلاحظ بأنه أثناء حدوث الزلزال اتسع حجم الهوة الذي قد وقع بين رجال الدين النصراني وغيرهم من الفلاسفة وعلماء الطبيعة، والاعتقاد بأن التفسير الديني للحدث يتعارض مع التفسير الطبيعي أو أن التفسير الطبيعي يتعارض مع التفسير الديني، "فمنذ القرن الثامن عشر تحديدا، اعتقد العديد من المفكرين أن تفسيراتهم المثيرة حول الظواهر الطبيعية تقوض الادعاءات المركزية للدين السماوي"(١)، أو ما يسميه بعض الفلاسفة بنزع السحر عن العالم، وأنه كلما زادت التفسيرات العلمية ومعرفة الأسباب الطبيعية تلاشت أهمية التعبير عن قدرة الله باعتباره مبدأ سببيا أو تفسيريا.

بالطبع هناك بعض الخرافات التي قد تتعلق ببعض التعاليم الدينية الكنسية التي تناقض العلم الطبيعي، لكن هذا الأمر لم يتوقف تجاه هذه الخرافات

(١) الإصلاح غير المنشود لبراد، ترجمة محمد كمال ، ص ٥٧.

وإنما امتد ليكون قناعة سيقوم التنوير بترسيخها بأن العلم الطبيعي يتعارض مع التفسير الديني.(١)

وهذا الأمر والاختلاف وإن كان واقعا في بعض التصورات الكنسية الكاثوليكية المتأثرة بالفلسفة الأرسطية المدرسية وأصرت على التمسك بتعاليمه باعتبارها جزءا من الدين، فإنه لا يعبر عن الحقيقة كاملة؛ إذ إن التعارض كان في بعض النظريات العلمية، ولم يكن تعارضا مطلقا كما حاولت الاتجاهات العلموية تسويقه والتركيز عليه بهدف كسب الصراع الدائر، وتحقيق أكبر قدر من المكاسب بتصوير الطرف الآخر عدوا للعلم.(٢)

الأمر الآخر أن هذا التعميم شمل الأديان كلها، وهو ما يعبر عن المركزية الغربية التي ترى بأن ما وقع في السياق الغربي فهو يعبر عن السياق الكوني العالمي، ولذلك فأنصار هذا الاتجاه والمتأثرين به من مثقفي الحضارات الأخرى الذي يرون التعارض بين العلم والدين لا يفرقون بين دين وآخر، وهو خلاف الواقع والحقيقة.

ومع أن هذا الافتراض الخاطئ يحمل في مضامينه معنى مسبقا خاطئا وهو افتراض الانفصال بين العلم والدين، وأن الدين ليس علما، وهو معنى باطل في الإسلام؛ إذ العلم بالدين الحق هو من أعلى العلوم وأفضلها، قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ

(١) انظر: المرجع السابق ص ٥٨ – ٥٩.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ٩٤.

ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ﴾(١)، قال الشنقيطي: "فقد أوضح جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة أن أكثر الناس لا يعلمون، ويدخل فيهم أصحاب هذه العلوم الدنيوية دخولًا أوليًا، فقد نفى عنهم جلَّ وعلا اسم العلم بمعناه الصحيح الكامل؛ لأنهم لا يعلمون شيئًا عمن خلقهم، فأبرزهم من العدم إلى الوجود، ورزقهم، وسوف يميتهم، ثم يحييهم، ثم يجازيهم على أعمالهم... ثم لما نفى عنهم جلَّ وعلا اسم العلم بمعناه الصحيح الكامل أثبت لهم نوعًا من العلم في غاية الحقارة بالنسبة إلى غيره...وهذه العلوم الدنيوية التي بينا حقارتها بالنسبة إلى ما غفل عنه أصحابها الكفار، إذا تعلمها المسلمون، وكان كل من تعليمها واستعمالها مطابقًا لما أمر الله به على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم: كانت من أشرف العلوم وأنفعها؛ لأنها يستعان بها على إعلاء كلمة الله ومرضاته جلَّ وعلا، وإصلاح الدنيا والآخرة، فلا عيب فيها إذن"(٢).

وبهذا فإن التفسير الغيبي للزلزال لا يتنافى مع التفسير العلمي، فالزلازل آيات يخوف الله بها عباده ويذكرهم قال تعالى: ﴿وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا﴾(٣)، قال ابن كثير: " قال قتادة: إن الله خوف الناس بما يشاء من آياته لعلهم يعتبرون ويذكرون ويرجعون، ذُكر لنا أن الكوفة رجفت على عهد ابن مسعود فقال: يا أيها الناس، إن ربكم يستعتبكم فأعتبوه"(٤)، وهي أيضا

---

(١) الروم: ٧.

(٢) أضواء البيان (٥٢٨/٦).

(٣) الإسراء: ٥٩.

(٤) تفسير ابن كثير (٥/ ٩١).

لها أسبابها المادية التي خلقها الله؛ إذ كل شيء بقدر الله وعلمه، قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ﴾(٢).

وأن ما أصاب الإنسان فإنما هو راجع لما كسبت يداه سواء من الأسباب الدينية أو الأسباب الدنيوية المادية، قال الله تعالى ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾(٤)، وقد تكون عقوبة على بني آدم وقد تكون بلاء وامتحانا وتمحيصا، يقول ابن القيم: "ولكن اعلم أن الأمر قسمة بين فضله وعدله، فيختص برحمته من يشاء، ويقصد بعذابه من يشاء، وهو المحمود على هذا وهذا. فالطيبون من خلقه مخصوصون بفضله ورحمته، والخبيثون مقصودون بعذابه، ولكل واحد قسطه من الحكمة والابتلاء والامتحان"(٥).

---

(١) الحديد: ٢٢.

(٢) التغابن: ١١.

(٣) الروم: ٤١.

(٤) الشورى: ٣٠.

(٥) طريق الهجرتين (١/ ٢٨٩).

ثانيا: إن التشاؤم بالأقدار والكوارث الكونية، ودوران الإنسان حول المصائب والمتاعب والمهالك والأحداث المأساوية وتركيزه عليها يؤدي به إلى اليأس والقنوط وربما نكران بعض أسماء الله وصفاته من الرحمة واللطف والحكمة وغيرها، كما تجلى ذلك في كتابات الفيلسوف فولتير.

وإن نظرة المسلم إلى ما يحصل في هذه الحياة الدنيا من مصائب وكوراث وبلاء قائم على حسن الظن بالله والإيمان بقضائه وقدره، ففي الحديث" عجَباً لأمْرِ الْمُؤْمِنِ إنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إلاَّ لِلْمُؤْمِن: إنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خيْراً لَهُ"(١)، يقول الحسن: "لا تكرهوا النقمات الواقعة، والبلايا الحادثة، فلرب أمر تكرهه فيه نجاتك، ولرب أمر تؤثره فيه عطبك"(٢).

وحسن الظن بالله يوجب على المسلم العمل بالتفاؤل المثمر، الذي ينتج عنه الجد والاجتهاد في الأسباب الشرعية والكونية، قال الرسول ﷺ: "احْرِصْ علَى ما يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ باللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وإنْ أَصَابَكَ شَيءٌ، فلا تَقُلْ: لو أَنِّي فَعَلْتُ كانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَما شَاءَ فَعَلَ"(٣).

كما أن التفاؤل وحسن الظن بالله يجعل الإنسان يلتفت إلى الأقدار الخيرة والأمور الرضية التي حصلت، "ومن تأمل هذا الوجود علم أن الخير فيه غالب؛ فإن الأمراض–وإن كثرت– فالصحة أكثر منها، واللذات أكثر من

---

(١) أخرجه مسلم ح(٢٩٩٩).

(٢) الكشف والبيان، الثعلبي، (١٣٨/٢).

(٣) أخرجه مسلم ح (٢٦٦٤).

الآلام، والعافية أعظم من البلاء، والغرق والحرق والهدم ونحوها–وإن كثرت– فالسلامة أكثر"(١).

فهذه الكوارث التي تقع فهي في نظر المسلم على عدة اعتبارات: "إما عدل وحكمة، وإما إصلاح وتهيئة لخير يحصل بعدها، وإما لدفع ألم هو أصعب منها، وإما لتولدها عن لذات ونعم، يولدها أمر لازم لتلك اللذات، وإما أن يكون من لوازم العدل، أو لوازم الفضل والإحسان، فيكون من لوازم الخير التي إن عطلت عطلت ملزوماتها، وفات بتعطيلها خير أعظم من مفسدة تلك الآلام، والشرع والقدر أعدل شاهدين بذلك"(٢).

ثالثا: إن هذه الكوارث وإن كانت شرا في نظر المخلوق فهي شر نسبي بالنسبة لتعلقه بالإنسان وقيامه به، ولا ينسب الشر إلى الله ﷻ، كما في الحديث " لبَّيْكَ وسعدَيْكَ والخيرُ كلُّه في يدَيْكَ والشَّرُّ ليس إليكَ "(3)، وإن كان هو المقدر والخالق له، يقول ابن القيم: " ولكن هنا أمران ينبغي أن يكونا منك على بال. أحدهما: أن ما هو شرٌّ أو متضمِّنٌ للشر فإنه لا يكونُ إلَّا مفعولاً منفصلًا، لا يكونُ وصفًا له، ولا فعلًا من أفعاله.

الثاني: أن كونه شرًّا هو أمر نسبيٌّ إضافيٌّ، فهو خيرٌ من جهة تعلُّق فعل الرَّبِّ وتكوينه به، وشرٌّ من جهة نسبته إلى من هو شر في حقه، فله وجهان، هو من أحدهما خيرٌ، وهو الوجه الذي نُسِبَ منه إلى الخالق سبحانه

---

(١) شفاء العليل (٢/٩٧).

(٢) شفاء العليل (٢/٢٨٣).

(3) أخرجه مسلم ح (٧٧١).

وتعالى خلقًا وتكوينًا ومشيئة، لما فيه من الحكمة البالغة التي استأثر بعلمها، وأطْلَعَ من شاء من خلقه على ما شاء منها، وأكثرُ الناس تضيقُ عقولُهم عن مبادئ معرفتها، فضلاً عن حقيقتها، فيكفيهم الإيمان المجمل بأن الله –سبحانه– هو الغنيُّ الحميد"(١).

وبهذا يتبين بأن أسماء الله الحسنى الرحمن الرحيم اللطيف وغيرها تمنع نسبة الشر إليه، وأن وقوع الكوارث والنكبات لا ينفي اتصاف الله بالرحمة واللطف، فهو العدل العليم الحكيم بما هو خير.(٢)

رابعا: أن ما حدث من الصراع بين السلطة الدنيوية والدينية في تحديد الموقف الصحيح تجاه آثار هذا الزلزال يعبر عن حجم الصراع على اعتلاء صدارة المشهد، وتحصيل المكانة الاجتماعية والحضور الشعبي لكل طرف منهم، وأن وجود تعارض بين العمل بالأسباب المادية والإصلاحات الاقتصادية وأنه يتنافى مع القيام بالأسباب الدينية هو محض توهم اتسع مداه بسبب المنافسة الشرسة التي كانت قائمة بين المركيز بومبال واليسوعيين.

وإن الإسلام لا يمكن أن يحدث فيه تعارض بين العمل بالأسباب الشرعية والمادية، وقد تضافرت كلمة علماء الإسلام على مراعاة الأمرين، وأن التفسير الديني وحث الناس على الإخبات والابتهال والإنابة لله ودعائه لا ينافي العمل بالأسباب المادية ومدافعة الأقدار ومحاولة تفاديها مستقبلا، بل هو جزء

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٧١٩ – ٧٢٠)، وانظر: شفاء العليل (٢/ ٤٤ و ٨٢).

(٢) انظر: شفاء العليل (٢/ ٨٥).

من الدين، وأن هذه الأحداث الكونية العظيمة كما أنها تحرض المؤمنين على الاستغفار والابتهال فهي تحرض عقول علماء الطبيعة والساسة والاقتصاديين وغيرهم على التنقيب في معرفة أسبابها ومحاولة التخفيف من آثارها ووضع الاحتياطات المستقبلية لتفادي نتائجها الكارثية، يقول عبدالقادر الجيلي: "الناس إذا وصلوا إلى القضاء والقدر أمسكوا، وأنا انفتحت لي روزنة فنازعت أقدار الحق بالحق للحق، والعارف من يكون منازعا للقدر، لا واقفا مع القدر"(١)؛ وهذا من فقهه وعلمه فإن عمر بن الخطاب وهو أعلم الأمة في وقته لما وجد عتبا من فراره من الطاعون فقيل له: أتفر من قدر الله؟ فقال: "نفر من قدر الله إلى قدر الله"(٢)، يقول ابن القيم مؤكدا على مدافعة الأقدار بالأقدار: "ثمَّ كيف ينكر هذا الكلام من لا بقاءَ له في هذا العالم إلا به، ولا تتمُّ له مصلحة إلا بموجبه. فإنَّه إذا جاءَه قَدرٌ من الجوع والعطش والبرد نازعه، وترك الانقياد له ومسالمته، ودَفَعَ بقدَر آخر من الأكل والشرب واللباس، فقد دفع قدر الله بقدره. وهكذا إذا وقع الحريقُ في داره فهو بقدَر الله، فما باله لا يستسلم له ويسالمه ويتلقاهُ بالإذعان؟ بل ينازعه ويدافعه بالماء والتراب وغيره حتَّى يطفئ قدَر الله بقدر الله، وما خرج في ذلك عن قدر الله.

وهكذا إذا أصابه مرض بقدر الله دافع هذا القدر، ونازعه بقدر آخر يستعمل فيه الأدوية الدافعة للمرض. فحقُّ هذا الحكم الكوني أن يحرص العبدُ على مدافعته ومنازعته بكلِّ ما يمكنه، فإنْ غلبه وقهرَه حرَص على دفع آثاره

---

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٤٥٨/٢).

(٢) أخرجه البخاري ح(٥٣٩٧)، ومسلم ح(٢٢١٩).

وموجباته بالأسباب التي نصبها الله لذلك فيكون قد دفع القدر بالقدر، ونازع الحكم بالحكم. وبهذا أُمِرَ، بل هذا حقيقة الشرع والقدر. ومن لم يستبصر في هذه المسألة ويعطِها حقَّها لزمَه التعطيلُ للقدر أو الشرع، شاء أم أبى"(١).

فالمسلم عند وقوع الزلزال فهو يدور بين أمرين: الأول: السبب الشرعي بالالتجاء إلى الله والإنابة إليه والتوبة له والتضرع والدعاء، والأمر الآخر: ببذل الأسباب المادية من الهروب من مخاطره ومدافعة آثاره ومعالجة نتائجه، ولذا فإن حديث العالم المسلم بأهمية الرجوع إلى الله والدعاء والصلاة لا يتنافى مع اتخاذ المؤسسات السياسية والأمنية والاقتصادية الإجراءات اللازمة لتقليل الخسائر وتسريع الرجوع للحياة الطبيعية.

ولذلك فالكارثة الكونية في نظر الإسلام لها عدة اعتبارات:

١- أحداث غير معهودة، وهو ما لا يمكن تفسيره علميا، وهي العقوبات الإلهية التي ذكرها الله في كتابه على الأمم التي خالفت الرسل والأنبياء، وهي عقوبة عامة لا تترك أحدا من المخالفين إلا شملته، ونجا منها الأنبياء والصالحين، وهي ما دعا رسول الله بعدم وقوعه في الأمة، قال الرسول ﷺ : "سَأَلْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا ثَلَاثَ خِصَالٍ، فَأَعْطَانِي اثْنَتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً. سَأَلْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَا يُهْلِكَنَا بِمَا أَهْلَكَ بِهِ الْأُمَمَ قَبْلَنَا، فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَا يُظْهِرَ عَلَيْنَا عَدُوًّا مِنْ غَيْرِنَا، فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لَا يَلْبِسَنَا شِيَعًا، فَمَنَعَنِيهَا"(٢).

---

(١) طريق الهجرتين (١/ ٧٧).

(٢) أخرجه النسائي ح (١٦٣٨)، والترمذي ح(٢١٧٥)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

٢- كوارث طبيعية معهودة ومتكررة، وهي ما يدخل منها البراكين والزلازل والفيضانات وغيرها. وتسير وفق سنن كونية خلقها الله في كونه، ويمكن معرفة أسبابها الكونية، وهذه تدافع بالأسباب الكونية والشرعية قدر المستطاع، يقول ابن القيم: "فما للاستسلام والمسالمة هنا مدخل في العبودية، اللهم إلا إذا بذل العبد جهده في المدافعة والمنازعة، وخرج الأمر عن يده، فحينئذ يبقى من أهل الحكم الثالث: وهو الحكم القدري الكوني الذي يجري على العبد بغير اختياره، ولا طاقة له بدفعه، ولا حيلة في منازعته...كمن انكسر به المركب في لجة البحر، وعجز عن السباحة، وعن سبب يدنيه من النجاة؛ فههنا يحسن الاستسلام والمسالمة"(١).

خامسا: يتبين من آثار الزلزال أن كثيرا من رموز التيارات وأنصارها اتخذوا هذه الكارثة لتصفية الحساب مع الخصوم الآخرين، فكل طائفة تحاول أن تسلط الضوء على مواقف الطائفة الأخرى التي تراها مشينة وتعظمها وربما حرفتها لخدمة أغراضها.

وتتجلى هذه الخصومة بين عدة تيارات وخصوم، ومن أبرز هذه الخصومات التي برزت بعد وقوع الزلزال:

١- الخصومات والتلاوم بين أنصار المذهبيات النصرانية من الكاثوليك والبروتستانت، حيث زعم بعض أنصار البروتستانت بأن ما حدث في لشبونة كان عقوبة على محاكم التفتيش واليسوعيين المنتشرين فيها، حتى

(١) طريق الهجرتين (١/ ٧٧).

أن بعض اللاهوتيين المعارضين قد ذكر بأن حدوث هذا الزلزال في يوم القديسين، وانهيار الكثير من الكنائس كان عقوبة لهم حيث لم يظهر هذا الدمار في الشارع الذي كان يحتوي على الكثير من بيوت الدعارة؛ لأن الإله يغفر لهؤلاء ما لا يغفره لأولئك الذين يدنسون دور العبادة.(١)

بل امتد أثر هذا التعصب والخصومة إلى أن امتنعت دول من مساعدة لشبونة، ومنها هولندا التي كان لتأثير الكالفينية تأثير في امتناعها في دعم البرتغال الكاثوليكية؛ لأن ما أصابها عقاب لها على وقفها وملاحقتها للآخرين المعارضين لها، وإدمانها عبادة الأوثان الرومانية.

في المقابل فإن اليوسعيين الكاثوليك لم يستسلموا لهذا الاتهام بل بينوا بأن هذه العقوبة حصلت بسبب الخارجين عن تعاليم الكاثوليك من الزنادقة والتسامح معهم.(٢)

٢- الخصومة والصراع بين رجال الكنيسة وبعض الفلاسفة، وهو ما تبين معنا في المبحث الثاني.

---

(١) انظر: Re-evaluating the Effects of the 1755 Lisbon Earthquake Nichols, p 992, EVIL in MODERN THOUGHT,SUSAN,P 244, Better Disaster Statistics: The Lisbon Earthquake, Benigno, p33.

(٢) انظر: Re-evaluating the Effects of the 1755 Lisbon Earthquake Nichols, p 994-995, EVIL in MODERN THOUGHT,SUSAN,P 244.

٣- الصراع والخصومة بين الفلاسفة فيما بينهم، كما اتضح جليا في الخصومة التي وقعت بين فولتير ورسو، والسخرية اللاذعة التي قام بها فولتير للفيلسوف لايبنتز وتشويه رؤيته وصورته كما اتضح ذلك في المبحث الثالث.

٤- الخصومة والصراع بين رجال الكنيسة والسلطة الزمنية، حيث ظهر جليا في الخصومة بين اليوسعيين والمركيز بومبال، كما مر معنا في المبحث الرابع.

والتعصب والتحزب يعمي الإنسان عن معرفة الحقيقة كاملة، فهو يرى كل ما عند الآخر باطلا، ويرى بأن اعترافه بما معه من الحق ضعف وهزيمة، وهنا تغيب الحقيقة بسبب علو أصوات المتعصبين، يقول الغزالي مبينا شرط المناظرة والمجادلة مع الآخرين: " أن يكون في طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه، ويرى رفيقه معينا لا خصما، و يشكره إذا عرفه الخطأ وأظهر له الحق، كما لو أخذ طريقا في طلب ضالته فنبهه صاحبه على ضالته في طريق آخر، فإنه كان يشكره و لا يذمه و يكرمه و يفرح به...فانظر إلى مناظرى زمانك اليوم كيف يسودّ وجه أحدهم إذا اتضح الحق على لسان خصمه، وكيف يخجل به، وكيف يجتهد في مجاحدته بأقصى قدرته، وكيف يذم من أفحمه طول عمره"(١).

بل إن التعصب شمل حتى إحصائيات الزلزال نفسها والتي لم تخلو من التهوين منها أو المبالغة فيها بحسب الطرف المستفيد، فعلى سبيل المثال بينما

(١) إحياء علوم الدين ص ٥٥.

شهدت إحصائية دي بومبال لوفيات الزلزال تقليصا في العدد في المقابل نجد بأن السفير البابوي البرتغالي قد بالغ في تقدير العدد.(1)

ولذلك فأعداد الوفيات تأثرت بالسياق التاريخي والمعتقدات الدينية والتجاذبات الفكرية، ففي حين أن بعضها قد حاول تحري الدقة في عدد الوفيات وفق الإمكانات المتاحة، فإن بعضهم قد تأثرت إحصاءاته بالمكاسب والمنافع والمصالح التي ترجع إليه سواء كانت دينية أو سياسية أو اجتماعية أو غيرها ، وهي إحصائيات أقرب ما تكون إلى التخرص "فالأيديولوجيا والأحكام المسبقة المتحيزة تلعب دورا كبيرا في تشويه آثار الكوارث"(٢).

فحسب بعض التقديرات لم يكن يتجاوز ضحايا الزلزال أكثر من عشر آلاف في حين أن بعضهم أوصل العدد إلى ١٠٠ ألف قتيل وأكثر، وما بين هذين الرقمين تتفاوت اختيارات الباحثين بين القاصد للدقة والقاصد للإثارة.

وفي بعض الأحيان اختيار الرقم الأكبر وتضخيم الكارثة يعطي لساردها وراويها زخما أكبر واهتماما أوسع، وهذه الطبيعة ظاهرة لدى الكثير من الناس، وكثيرا ما تكون الروايات الشعبية بسبب هذه الطبيعة تصنع أساطير وأعداد وفظائع غير واقعية عن الكوارث الكونية.

---

(1) انظر: Better Disaster Statistics: The Lisbon Earthquake, Benigno, p32.

(٢) Better Disaster Statistics: The Lisbon Earthquake, Benigno, p36.

كما يتعلق بمسألة المبالغات ما يحكى حول بعض الأطراف من غلو وتحيزات سواء في إظهار الأبطال الفائقين أو الأشرار السيئين، ومن ذلك المبالغة في تعظيم الأفكار التنويرية وأثر الزلزال في تغيير كثير من الأفكار والآراء مع أن الواقع يدل بأن الزلزال وإن كان له تأثيرًا في ذلك، لكنه يبقى جزءا من الدفع بعملية التنوير، والتي أخذت وقتا وزمنا طويلا.(١)

وإنه من المؤسف أن المتابع لردات فعل بعض الباحثين حول وقوع الكوارث في العالم العربي والإسلامي يجد المحاولة الدؤوبة لاستدعاء هذه الصراعات التاريخية الواقعة في سياق جغرافي وثقافي محدد ليفترض وقوعها وإثارتها في العالم الإسلامي، وساعيا إلى التفتيش عن وجود صراعات متشابهة عما حدث، وهو ما يؤكد أن الكوارث الطبيعية عادة ما يتزامن معها الاستغلال وتصفية الحسابات لا من الناحية المادية والجشع التجاري بل أيضا على المستوى الفكري والعلمي.

وإن الله قد جعل هذا البلاء من الكوارث امتحانا للناس وإظهارا لأهل الفضل فضلهم حيث يتجلى معدن الناس وتتبين أخلاقهم الصادقة في وقت الشدة والضراء، مما يقع منهم من الصدق والصبر والرضا والتوكل والشجاعة والحلم والأناة والمعاونة والعفو والصفح "والله سبحانه يحب أن يكرم

---

(١) What were the effects of the 1755 Lisbon earthquake on eighteenth-century religious minds?, Nichols, p 7. The Lisbon earthquake of 1755: the catastrophe and its European repercussions, Helena Murteira,p5.

أولياءه بهذه الكمالات، ويحب ظهورها عليهم ليثني بها عليهم هو وملائكته، وينالوا باتصافهم بها غاية الكرامة واللذة والسرور"(١)، ولذا فكمال الإيمان في هذا الموقف هو التحلي بمكارم الأخلاق وحسن التصرف، فليس هذا موطن تقاذف وتلاوم وتصفية حسابات قد تزيد الأمر سوء بل ربما أسوء مما وقع من الكارثة نفسها.

(١) شفاء العليل (٢/ ٢٦٨).

الخاتمة

في نهاية هذا البحث، يمكن أن نصل إلى عدد من النتائج:

١- أن هناك عدد من الأسباب المتعلقة إما بطبيعة الحدث أو زمانه أو مكانه أو مكانة الشخصيات التي كتبت حوله أدت إلى عظيم أثر زلزال لشبونة، وعده منعطفا تاريخيا في الفكر الأوربي.

٢- أن من الآثار التي أعقبت الزلزال الصراع في تفسيره بين رجال الدين الذين فسروه بما يوافق رؤية الكنيسة، وبين الفلاسفة وعلماء الطبيعة الذين فسروه تفسيرا طبيعيا.

٣- أن من آثار الزلزال الخلاف بين الفلاسفة بينهم في رؤية العالم بين الاتجاه المتفائل والاتجاه المتشائم.

٤- من آثار الزلزال الصراع الذي وقع بين السلطة الدينية والسلطة الدنيوية في الموقف الصحيح في مواجهة نتائج الزلزال وطريقة التعامل معه.

٥- أن هذه الصراعات التي أعقبت الزلزال كثير منها كان بهدف تصفية الحسابات والمبالغة بمواقف الأطراف الأخرى والمنافسة على الحضور والتأثير، وجزء منها بتصور وجود التناقض بين التفسير العلمي والديني.

٦- أن افتراض التناقض بين العلم والدين الذي ظهر في عصر التنوير افتراض لا يستقيم مع الدين الإسلامي، والذي يقدم القطعي منهما، ويحث على العمل بهما في تفسير الكوارث ومعالجة آثارها فيجمع بين الأسباب الكونية والشرعية.

٧- أن نظر المسلم عند وقوع الكوارث والمصائب قائم على إحسان الظن

بالله، وعدم اليأس والقنوط والتبرم والتسخط.

كما أوصي في نهاية البحث بما يلي:

- تعزيز الموقف الصحيح في الإسلام تجاه الكوارث والمصائب، وأنه يمثل موقفا متزنا يجمع بين التعامل الشرعي والقدري معه.
- نقد الكتابات الحداثية العربية المتأثرة في موقفها من الزلازل بما كان في تاريخ الفكر الغربي، ومحاولة فرض وجود صراع بين العلم والدين.
- دراسة الآثار الفكرية للكوارث في العالم الإسلامي، وتفعيل دور المؤسسات البحثية والدراسات الاستقصائية لإدراك طبيعة هذه التغيرات ومحاولة الإجابة عنها ومعالجة نتائجها السلبية.

المصادر والمراجع العربية:

١- القرآن الكريم.

٢- إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ.

٣- الإصلاح غير المنشود الثورة الدينية وعلمنة المجتمع، براد س.جريجوري، ترجمة محمد كمال، نماء للبحوث والدراسات، بيروت، ط١، ٢٠٢٣م.

٤- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.

٥- الاعترافات، جان جاك روسو، ترجمة خليل رامز سركيس، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١، ٢٠١٢م.

٦- بدائع الفوائد، ابن القيم الجوزية، تحقيق علي العمران، دار عطاءات العلم ودار ابن حزم، ط٥، ١٤٤٠هـ.

٧- تاريخ الفكر الأوروبي الحديث، رونالد ستورمبرج، ترجمة أحمد الشيباني، دار القارئ العربي، القاهرة، ط٣، ١٤١٥هـ.

٨- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق سامي السلامة، دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ.

٩- سنن الترمذي (الجامع الكبير)، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.

١٠- سنن النسائي (المجتبى من السنن)، أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢، عام ١٤٠٦هـ.

١١- الشرق والغرب منطلقات العلاقات ومحدداتها ، لعلي النملة ، بيسان ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٣١هـ .

١٢- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن القيم الجوزية، تحقيق زاهر بن سالم بلفقيه، دار عطاءات العلم ودار ابن حزم، ط٢، ١٤٤١هـ.

١٣- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط١، عام ١٤٢٢هـ.

١٤- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري ، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٥- طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن القيم الجوزية، تحقيق محمد أجمل وزائد النشيري، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٩هـ.
١٦- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيرزوبادي، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط٨، عام ١٤٢٦هـ
١٧- قصة الحضارة، ويليام جيمس ديورَانت، ترجمة مجموعة من المترجمين، دار الجيل، بيروت.
١٨- قصة الفلسفة الحديثة. زكي نجيب محمود وأحمد أمين، مؤسسة الهنداوي، المملكة المتحدة، ٢٠٢٠م.
١٩- كانديد أو التفاؤل ، فولتير، ترجمة آنا ماريا شقير، دار الهلال ودار البحار، بيروت،ط١.
٢٠- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد الثعلبي، تحقيق الطاهر بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
٢١- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، عام ١٤١٤هـ.
٢٢- مجموع الفتاوى ، لأحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق عبدالرحمن بن قاسم ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦ هـ .
٢٣- المحكم والمحيط الأعظم ، لأبي الحسن بن سيده ، تحقيق عبدالحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢١ هـ .
٢٤- المسؤولية المدنية عن اضرار الكوارث الطبيعية، محمد الكعبي، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية، ٢٠٢٠م.
٢٥- المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م.
٢٦- المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط٢، ١٣٩٢هـ.
٢٧- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان الداودي، دار

القلم والدار الشامية، دمشق، ط١٤١٢،١هـ.
٢٨- مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس ، تحقيق عبدالسلام هارون ، دار الفكر ، ١٣٩٩ هـ .
٢٩- نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني عشر، محمد بن الطيب القادري، تحقيق محمد حجي وأحمد توفيق، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ط١، ١٣٩٧هـ.

الدوريات العلمية والصحف :

٣٠- جريدة المدن ٢٠٢٣/٢/٨م.
٣١- جريدة الخليج الجديد، ٢٠/ ٢/٢٠٢٣م.
٣٢- صحيفة الشرق الوسط ٢١/ ٧/ ١٤٤٤هـ.

المواقع الالكترونية:

٣٣- موقع مكتب الأمم المتحدة للحد من مخاطر الكوارث:
https://www.undrr.org/ar/terminology/alkartht
٣٤- موقع الموسوعة البريطانية (بريتانيكا):
https://www.britannica.com/event/Lisbon-earthquake-of-1755

المراجع الأجنبية :

35- Better Disaster Statistics: The Lisbon Earthquake, Benigno E. Aguirre, The Journal of Interdisciplinary History,2012.
36- Evil in Modern Thought: An Alternative History of Philosophy, Susan Neiman, Princeton Classics,2015.
37- Extracting testable hypotheses from historical scholarship: What were the effects of the 1755 Lisbon earthquake on eighteenth-century religious minds?, Ryan Nichols, Journal of the American Academy of Religion, Forthcoming.
38- Re-evaluating the Effects of the 1755 Lisbon Earthquake on Eighteenth-Century Minds: How Cognitive Science of Religion Improves Intellectual History with Hypothesis Testing Methods, Ryan Nichols, Journal of the American Academy of Religion,2014.
39- The 1755 Lisbon Earthquake: Revisited, A Group of Authors, Springer,2008.
40- The Lisbon earthquake of 1755: the catastrophe and its European repercussions, Helena Murteira, Global Economics and Management Review,2004.

al-Maṣādir wa-al-marāji‘ al-‘Arabīyah :
1- al-Qur’ān al-Karīm.
2- Iḥyā’ ‘ulūm al-Dīn, Abū Ḥāmid al-Ghazālī, Dār Ibn Ḥazm, Bayrūt, Ṭ1, 1426h.
3- al-iṣlāḥ ghayr al-manshūd al-thawrah al-dīnīyah w‘lmnh al-mujtama‘, brād S. jryjwry, tarjamat Muḥammad Kamāl, Namā’ lil-Buḥūth wa-al-Dirāsāt, Bayrūt, Ṭ1, 2023m.
4- Aḍwā’ al-Bayān fī Īḍāḥ al-Qur’ān bi-al-Qur’ān, Muḥammad al-Amīn al-Shinqīṭī, Dār al-Fikr, Bayrūt, 1415h.
5- al-I‘tirāfāt, Jān Jāk Rūssū, tarjamat Khalīl Rāmiz Sarkīs, al-Munaẓẓamah al-‘Arabīyah lil-Tarjamah, Bayrūt, Ṭ1, 2012m.
6- Badā’i‘ al-Fawā’id, Ibn al-Qayyim al-Jawzīyah, taḥqīq ‘Alī al-‘umrān, Dār ‘aṭā’āt al-‘Ilm wa-Dār Ibn Ḥazm, ṭ5, 1440h.
7- Tārīkh al-Fikr al-Ūrūbbī al-ḥadīth, Rūnāld strwmbrj, tarjamat Aḥmad al-Shaybānī, Dār al-qāri’ al-‘Arabī, al-Qāhirah, ṭ3, 1415h.
8- tafsīr al-Qur’ān al-‘Aẓīm, Ismā‘īl ibn ‘Umar ibn Kathīr, taḥqīq Sāmī al-Salāmah, Dār Ṭaybah, al-Riyāḍ, ṭ2, 1420h.
9- Sunan al-Tirmidhī (al-Jāmi‘ al-kabīr), Muḥammad ibn ‘Īsá al-Tirmidhī, taḥqīq : Bashshār ‘Awwād Ma‘rūf, Dār al-Gharb al-Islāmī, Bayrūt, 1998M.
10- Sunan al-nisā’ī (al-Mujtabá min al-sunan), Aḥmad ibn Shu‘ayb al-nisā’ī, taḥqīq : ‘bdālftāḥ Abū Ghuddah, Maktab al-Maṭbū‘āt al-Islāmīyah, Ḥalab, ṭ2, ‘ām 1406h.
11- al-Sharq wa-al-Gharb munṭalaqāt al-‘Alāqāt wa-muḥaddidātuhā, li-‘Alī al-Namlah, Bīsān, Bayrūt, ṭ3, 1431h.
12- Shifā’ al-‘alīl fī masā’il al-qaḍā’ wa-al-qadar wa-al-ḥikmah wa-al-ta‘līl, Ibn al-Qayyim al-Jawzīyah, taḥqīq Zāhir ibn Sālim Bilfaqīh, Dār ‘aṭā’āt al-‘Ilm wa-Dār Ibn Ḥazm, ṭ2, 1441h.
13- Ṣaḥīḥ al-Bukhārī, Muḥammad ibn Ismā‘īl al-Bukhārī, taḥqīq : Muḥammad Zuhayr al-Nāṣir, Dār Ṭawq al-najāh, Ṭ1, ‘ām 1422h.
14- Ṣaḥīḥ Muslim, Muslim ibn al-Ḥajjāj al-Nīsābūrī, taḥqīq : Muḥammad Fu’ād ‘Abd-al-Bāqī, Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī, Bayrūt.
15- ṭarīq al-hijratayn wa-Bāb al-sa‘ādatayn, Ibn al-Qayyim al-Jawzīyah, taḥqīq Muḥammad Ajmal wzā’d al-Nashīrī, Dār ‘Ālam al-Fawā’id, Makkah al-Mukarramah, Ṭ1, 1429h.
16- al-Qāmūs al-muḥīṭ, Muḥammad ibn Ya‘qūb alfyrzwbādy, taḥqīq Muḥammad Na‘īm al‘rqswsy, Mu’assasat al-Risālah, ṭ8, ‘ām 1426.
17- qiṣṣat al-Ḥaḍārah, wylyām James dywrānt, tarjamat majmū‘ah min al-Mutarjimīn, Dār al-Jīl, Bayrūt.
18- qiṣṣat al-falsafah al-ḥadīthah. Zakī Najīb Maḥmūd wa-Aḥmad Amīn, Mu’assasat al-Hindāwī, al-Mamlakah al-Muttaḥidah, 2020m.
19- kāndyd aw al-tafā’ul, Voltaire, tarjamat Ānna Māriyā Shuqayr, Dār al-Hilāl wa-Dār al-biḥār, Bayrūt, Ṭ1.
20- al-kashf wa-al-bayān ‘an tafsīr al-Qur’ān, Aḥmad ibn Muḥammad al-Tha‘labī, taḥqīq al-Ṭāhir ibn ‘Āshūr, Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī, Bayrūt, Ṭ1, 1422H.
21- Lisān al-‘Arab, Muḥammad ibn Mukarram ibn manẓūr, Dār Ṣādir, Bayrūt, ṭ3, ‘ām 1414h.

22- Majmūʻ al-Fatāwá, li-Aḥmad ibn ʻbdālḥlym ibn Taymīyah, taḥqīq ʻAbd-al-Raḥmān ibn Qāsim, Majmaʻ al-Malik Fahd li-Ṭibāʻat al-Muṣḥaf, 1416 H.
23- al-Muḥkam wa-al-Muḥīṭ al-Aʻẓam, li-Abī al-Ḥasan ibn sydh, taḥqīq ʻAbd-al-Ḥamīd Hindāwī, Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, Bayrūt, Ṭ1, 1421 H.
24- al-Masʾūlīyah al-madanīyah ʻan aḍrār al-Kawārith al-ṭabīʻīyah, Muḥammad al-Kaʻbī, Dār al-Taʻlīm al-Jāmiʻī, al-Iskandarīyah, 2020m.
25- al-Muʻjam al-falsafī, Jamīl Ṣalībā, Dār al-Kitāb al-Lubnānī, Bayrūt, 1982m.
26- al-Muʻjam al-Wasīṭ, majmūʻah min al-muʾallifīn, Majmaʻ al-lughah al-ʻArabīyah bi-al-Qāhirah, ṭ2, 1392h.
27- al-Mufradāt fī Gharīb al-Qurʾān, al-Rāghib al-Aṣfahānī, taḥqīq Ṣafwān al-Dāwūdī, Dār al-Qalam wa-al-dār al-Shāmīyah, Dimashq, Ṭ1, 1412h.
28- Maqāyīs al-lughah, li-Abī al-Ḥusayn Aḥmad ibn Fāris, taḥqīq ʻAbdussalām Hārūn, Dār al-Fikr, 1399 H.
29- Nashr al-mathānī li-ahl al-qarn al-ḥādī ʻashar wa-al-thānī ʻashar, Muḥammad ibn al-Ṭayyib al-Qādirī, taḥqīq Muḥammad Ḥajjī wa-Aḥmad Tawfīq, al-Jamʻīyah al-Maghribīyah lil-Taʾlīf wa-al-Tarjamah wa-al-Nashr, Ṭ1, 1397h.
30- Jarīdat al-mudun 8/2 / 2023m.
31- Jarīdat al-Khalīj al-jadīd, 20/2 / 2023m.
32- Ṣaḥīfat al-Sharq al-Wasaṭ 21/7 / 1444h.
33- Mawqiʻ Maktab al-Umam al-Muttaḥidah lil-ḥadd min Makhāṭir al-Kawārith : https : / / www. undrr. org / ar / terminology / alkartht
34- Mawqiʻ al-Mawsūʻah al-Barīṭānīyah (brytānykā) :
Https : / / www. britannica. com / event / Lisbon-earthquake-of-1755